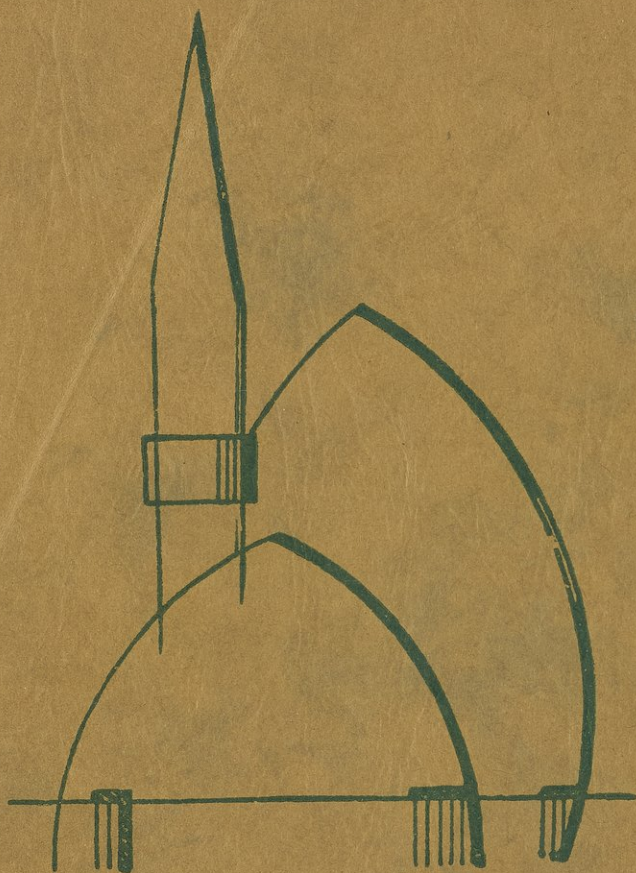


GENERAL
LIBRARY

محمود

غزای



مقتل عشاق و عفتان

مَقْتَلُ عِمَّانَ بْنِ عَمَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهو بحث في الفتنة التي حدثت أيامه وانتهت بقتله

تأليف

محمود الفزاوي

الحائز على درجة الليسانس في الآداب والعلوم التاريخية

وعضو الماجستير في التاريخ الإسلامي بكلية الآداب

الطبعة الثانية

سنة ١٩٣٦

DS

238

.U86

G3

1936

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم الكتاب

بقلم العالم الجليل الدكتور حسن إبراهيم حسن
أستاذ التاريخ الإسلامى بالجامعة المصرية

تلقي الأستاذ محمود الغزاوى مادة التاريخ الإسلامى
بكلية الآداب منذ سنة ١٩٢٩ على أثر التحاقه بها بعد
إلغاء مدرسة المعلمين العليا ، ونال درجة الليسانس فى
الآداب من الجامعة عام ١٩٣٢ ، وهو الآن يشغل معى
للحصول على درجة الماجستير فى الآداب ، وسيتقدم
لامتحان هذه الدرجة — على ما أرجح — فى مايو المقبل
إن شاء الله .

على أن عمل الأستاذ الغزاوى المتواصل لإنجاز رسالته التى سيتقدم بها لهذا الامتحان لم يقف به فى سبيل هذه الفكرة الموفقة وهى نشر كتابه عن « مقتل عثمان ابن عفان » وفيه يبحث الفتنة التى حدثت فى عهد عثمان وانتهت بقتله ، وهى ناحية من النواحي الغامضة فى التاريخ الإسلامى التى تستحق البحث والتمحيص .

يبد أن الكلام عن حياة الخليفة عثمان مبسوط فى كتب التاريخ الإسلامى ، كما لم يفت المستشرقين أن يتناولوه بالتفصيل فى مؤلفاتهم ، وإنما الناحية الدقيقة التى ظلت غامضة بعض الغموض والتى لا تزال فى حاجة إلى عناية خاصة هى تلك الناحية التى تتعلق بقتل هذا الخليفة واستجلاء العوامل التى أدت إلى هذه الحادثة التى فرقت المسلمين شيعاً وأحزاباً ، ونعنى بهذا مقتل عثمان ابن عفان والبحث من هذه الناحية لا يخلو من طرافة .

وقد حاول الأستاذ الغزاوى جهده استجلاء ماغمض من الحقائق فى بحثه فبسطها بسطاً ممتعاً وانتهى من كل منها برأى شخصى يدل على مايمتاز به المؤلف من قوة الاستنباط ، ودقة النقد . وإصابة الحكم ، مما يستحق الثناء

والتقدير . هذا إلى ما يمتاز به الكتاب أيضاً من الإشارة إلى المصادر العربية والأجنبية كل في محله شأن المؤرخين والكتاب من المستشرقين في بحوثهم العلمية الحديثة . كل ذلك يتبين للقارئ فيما تناوله المؤلف من موضوعات بحثه ، فقد تكلم في الباب الأول عن حال المسلمين قبيل الفتنة واستعرض مشكلة من أدق المشاكل الدستورية التي كانت تحوط انتخاب الخليفة من الوجهة التاريخية العملية لا عن طريق فقهى نظرى ، ثم تكلم عن عوامل الفتنة مستعرضاً النزاع الذي نشب بين بنى هاشم وبنى أمية وما كان لهذا النزاع من أثر في مجرى الحوادث . كذلك تحدث عن سياسة عثمان بن عفان باعتبارها عاملاً من العوامل الهامة في إثارة سخط المسلمين عليه .

وقد بحث المؤلف في الباب الثانى من الكتاب كيفية انتشار الفتنة في تلك الأُمصار واحدة بعد أخرى، وما كان للدعاة من أثر في إذكاء نيرانها ، ويعتبر هذا الباب بحق من أمتع البحوث على الرغم من إيجازه .

وقد اختتم الأستاذ الغزاوى كتابه بفصل رائع عن تطورات الفتنة فتكلم عن حصار الخليفة وقتله وهو يتلو

القرآن الكريم ، وصور هذه المأساة في إيضاح وبراعة
حتى ليخيل للقارئ أن الأشخاص تتراءى أمامه يحس
بأحاساسها ويشعر بشعورها.

والكتاب في مجموعه يدعو إلى الارتباح والتقدير .
وكل ما أرجوه أن يكون هذا البحث نواة صالحة يستطيع
معها الأستاذ محمود الغزاوى أن يضع في التاريخ الإسلامى
مؤلفات علمية تكشف عن كثير من المسائل الغامضة
في هذه الناحية من نواحى التاريخ . ولا غرو فان رسالة
الجامعة ليست مقصورة على تخريج شبان يقطعون صلتهم
بالعلم بعد تخرجهم ، وإنما هى تزويد الطلاب فيها بخير
الوسائل العلمية الصحيحة التى تبث فى نفوسهم لا حب
العلم والاستزادة منه فحسب ، بل إظهار شخصيتهم فى عالم
التأليف بوضع المؤلفات المبتكرة . وأنا أعتقد أن
المؤلف قد شعر بقسط وافر من هذه الرسالة الجامعية حين
عزم على نشر هذا الكتاب الذى أرجو له ما هو جدير
به من الذبوع والانتشار ؟

حسن إبراهيم حسن

كلمة المؤلف

في الطبعة الثانية

نفدت الطبعة الأولى من هذا الكتاب الصغير في أقل من شهر واحد من تاريخ صدوره في العام الماضي. وكأني بهذا الجمهور الكريم قد كان على موعد مع ذلك البحث العلمي الذي كنت أحسب أنه لا يدخل اللذة إلا على من قام به وتوافر عليه فإذا به يجد سبيله أيضاً إلى قلوب المؤمنين . . . !

ولعل ذلك يرجع في الحقيقة إلى أن مقتل عثمان بن عفان، رضى الله عنه، كان أول ثورة في الاسلام، وأول حادثة حدد بها جمهور الشائرين العلاقة بين الحاكم والمحكومين. وهي فوق هذا وذاك فاجعة ما زال تأثيرها شديداً على

الرجل الكبير والسيدة العجوز بقدر ما يتأثر بها الشاب
المكتمل والطفل الصغير .

وأنا أعترف أن الطبعة الأولى من هذا الكتاب لم تكن
على جانب كبير من أناقة الطبع ودقة الصنع ، أما اليوم
فقد أسلمت الأمر كله لصديقي المفضل الأستاذ الصاوى ،
وأنا واثق أن إخراج الطبعة الثانية سوف ينال رضا الجمهور
الكريم . وحسبى أن أعترف أن الشعور بالنقص كاف
فى بلوغ مراتب الكمال .

ولعل خير ما كنت أغتبط من أجله هذا النقد الذى
أثارته الصحافة العربية والمجلات العلمية ، فقديمًا قالوا إن
الحقيقة بنت البحث ، وأنا أشكر أصدقائى وغير أصدقائى
من تكرموا على بتقاريطهم الجميلة ، وأذكر أيضا بالخير
ما لقيته من عطف صاحب العزة الباحث الاسلامى الكبير
الدكتور محمد حسين هيكل بك ، وغيره من كبار رجال
الدولة الذين كان لتشجيعهم الأدبى وتقديرهم الجميل أكبر
الأثر فى إخراج هذا البحث مرة أخرى ، وأخص بالذكر منهم
سعادة الأستاذ الضليع حسن بك نبيه المصرى وكيل مجلس
الشيوخ وسعادة محمد العشماوى بك وكيل وزارة المعارف

وإذا كانت تلك الثمرة شهية إلى النفس، محبة إلى الفكر،
فالفضل في ذلك إنما يرجع إلى ما تعهدني به أستاذي الجليلان
الدكتور حسن إبراهيم حسن وحضرة الأستاذ عبد الحميد
العبادي من أساطين كلية الآداب بالجامعة المصرية فسأظل
أذكرهما أيديهما البيضاء على إذ تعهداني حين كنت طالباً
بكلية الآداب منذ نصف وست سنين .

* *

وبعد، فإنه ليسرني كل السرور أن أضع هذا الكتاب
الصغير مرة أخرى بين يدي القارئ وأنا شديد الثقة في
حسن تقديره .

وأحمد الله أخيراً الذي مكّنني من إعادة طبعه مع تنقيحه
وزيادة العناية به وحسبي من ذلك كله أن أكون قد
أخرجت للناس صفحة كانت غامضة من صفحات التاريخ
الإسلامي . م

محمود الفزاري

بوزارة التجارة والصناعة
بإدارة التشريع والتسجيل

الباب الأول

حالة المسلمين قبيل الفتنة

الفصل الأول

عنوانه بـ عفاه

بيعة السقيفة

ليس من اليسير على الباحث في التاريخ الاسلامي أن يدرس مثل ذلك اليوم الدقيق الذي أعقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن الروايات وإن تكن متوافرة ، إلا أنها لا تكاد تجمع على شيء واحد ، اللهم إلا أننا نرى هذه الحوادث تسفر عن نظام جديد لم يكن العالم العربي قد ألفه قبل وفاة النبي ، وهذا النظام على ما فيه من ديمقراطية ودقة قد أثر في الأمة الاسلامية أثراً بعيد المدى .

وفاة النبي

انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه في يوم الاثنين ١١ ربيع الأول سنة ١١ هـ (١) ، مات وقد اشتد الضحى كما يقولون . ولم يؤثر عنه قبل وفاته أنه نص على

(١) وبعضهم يصحح ذلك فيقول ١٢ من ربيع الأول من هذه السنة .

نظام يتبع في الدولة الإسلامية بعد وفاته ، إما لأن المرض قد منعه عن ذلك ، وإما لأنه كان يرى أن هذا الأمر ليس من جوهر الدين في شيء إذ لم ينص الدين على تعيين طريقة خاصة للحكم . من أجل هذا لم يشأ الرسول عليه الصلاة والسلام أن يقطع في الأمر بشيء مخافة أن يؤدي ذلك إلى الانقسام وقيام الفتن بين المسلمين أنفسهم ، لأن النبي كان على علم تام بما بين المهاجرين والأنصار من خلاف إذ لو جعل الخلافة لأحدهما ثار الفريق الآخر . هذا إلى أن المهاجرين أنفسهم كانوا منقسمين إلى بني هاشم أقرباء النبي الأديين من جهة ، وسائر قریش من جهة أخرى . كما أن الأنصار كانوا منقسمين فيما بينهم أيضاً إلى أوس وخزرج ، وكلاهما شديد التنافس . ثم إن النبي رأى أن يترك هذا الأمر للمسلمين كي يفصلوا فيه كيفما شاءوا . ولا غرو فقد كانت نفس النبي صلى الله عليه وسلم مشربة بالروح الديمقراطية التي كانت تسود بين العرب منذ أيام الجاهلية .

المهاجرون
والأنصار

الأوس
والخزرج

ولكي نفهم كيف تمخضت الحوادث عما يسميه المؤرخون « نظام الخلافة » يجدر بنا أن نرجع قليلاً إلى

زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد عهد أيام حياته الى أبي بكر بالأمامة في الصلاة (١) ومن هنا يستند بعض الباحثين إلى أن ذلك معناه الترشيح للخلافة . كما يستند هؤلاء أيضاً إلى الحديث الشريف « سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر » (٢) وذلك ليبرروا ترشيح أبي بكر على يد النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا فيما نرى استناد ضعيف ، إذ ما الذي يضطر النبي عليه السلام إلى التليح دون التصريح ونحن في مقام خطير كهذا ؟ وفضلاً عن هذا ، فهناك بعض الأحاديث التي تروى عن علي وعمر رضى الله عنهما ، ومنها نقف على أن كلا منهما كان يود لو رشح للخلافة . على أن هذا في الحقيقة إما محمول على غير ما قصد به ، وإما أن تلك الأحاديث موضوعة مختلفة من أساسها لأسباب لا نرى هنا مجالا لذكرها .

النبي لم يرشح
أحدًا للخلافة

وهناك دليل ثالث على عدم ترشيح النبي عليه الصلاة والسلام أبا بكر للخلافة : ذلك هو الخلاف الذي نشب

(١) سيرة ابن هشام طبعة وستفد ج ٢ ص ١٠٠٨ - ١٠٠٩

(٢) الأصل أنه كان لكل من الصحابة منزل يتصل بمسجد المدينة فأمر

النبي أن تسد جميع المنافذ الى المسجد الا خوخة أبي بكر وذلك حفظاً للحرمة .

بالفعل بعد وفاة النبي مما كاد يؤدي إلى الفتنة . فلو أن
النبي رشح أحداً للخلافة لما حدث شيء من ذلك .

توفي النبي ولم تكن هناك إذن خطة تتبع ، فماذا حدث ؟
سلم الجميع بوجوب قيام حكومة أيّاً كان شكلها . فأما
الأنصار فقد اجتمعوا على أثر سماعهم نعي الرسول عليه
السلام في مكان يدعى « سقيفة بني ساعدة » كي يتشاوروا
في الأمر ، وهم مصممون على أن تكون الخلافة لرجل
منهم هو سعد بن عبادَةَ الخزرجي ، بمعنى أنهم سلموا ضمناً
بوجوب قيام حكومة على رأسها رجل من الأنصار ممن
لهم شأن عظيم في إعلاء كلمة الدين .

ماذا حدث ؟

على أن المهاجرين لم يمكنوا هؤلاء من بغيتهم . فقد
اجتمعوا في بيت النبي عليه السلام عقب وفاته ليتذاكروا
في هذا الأمر . وهنا بلغهم خبر اجتماع الأنصار فقرروا
على تلافي الأمر قبل تفاقمه . ومن ثم تركوا جثمان النبي
الطاهر وأسرعوا إلى السقيفة ، ومن بينهم ثلاثة من رجالات
ذلك العصر : أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة . فهل كان هناك
من محرك هؤلاء على أن يعملوا بوحى من خاطرهم ؟ أم أن
خطة مرسومة كانت مبيتة من قبل ؟ لعلنا لا نخطئ إذا

قلنا إن هذا الأمر تناولته هذه الجماعة بالبحث من قبل ،
فقد جاش بخاطر أولى الأمر هذا السؤال : ترى ماذا
يكون الأمر لو توفي النبي ؟ هذه فيما نرى هي المسألة التي
عرضت قبل وفاة النبي ، دون علمه بالطبع ، بل لعلمهم
كانوا على اتفاق أن تكون الخلافة لرجل من المهاجرين
دون الأنصار ، فلما رأوا اجتماع الأنصار تركوا الجسد
الشريف وخرجوا ليتصلوا بهم في السقيفة .

أما الأنصار ، فلم يسد بينهم الوفاق . نعم ! فقد كانوا
يتكونون من قبيلتي الأوس والخزرج ، وكانتا متعاديتين
في الجاهلية ، لدرجة أن قامت بينهما حروب طاحنة كانت
الغلبة فيها للأوس على الخزرج أخيراً ، حتى إذا جاء
الاسلام قضى على الخلاف الذي ساد بين الفريقين ،
وضم شمل الجمعين بحيث أصبح الجميع يداً واحدة . إلا أنه
رغم ذلك كله فقد بقيت العداوة والبغضاء كامنة في الصدور
حتى انفجر بركانها ، وانبعث في هذا اليوم من جديد :
فد كرت الأوس ما كان بينها وبين الخزرج من الأحن
والعداوة القديمة . ولما كان المرشح للخلافة من الخزرج
فقد خشي الأوس عاقبة ذلك ، ومن ثم نراها تميل إلى

أن يقع الأمر إلى قريش حتى لا تستبد الخزرج بها ،
وكذلك نرى الأوس تميل لتحويل الدفة نحو المهاجرين .
على أن ذلك التحول تم بخطوة جريئة خطاها بطل ذلك
اليوم . وهو : عمر بن الخطاب . فقد ذهب المؤرخون إلى
أنه عندما رأى أن نار الفتنة كاد يندلع لهما . قال
لأبي بكر : أبسط يدك ، فاني أبايعك على أن تكون خليفة .
فصفق عليها أبو بكر دليلا على الاتفاق (١) .

فلما فعل ذلك عمر ورأت الأوس أن الأمر قد
يذهب للخزرج كما بينا ، عمدت إلى مبايعة أبي بكر فبايعته ،
وتركت الخزرج وحدها . وبذلك صارت الأغلبية
لأبي بكر . وحيث لم يسع الخزرج إلا أن تباع مرغمة (٢) .
وكذلك امتنع بعض ذوى الجاه . كالعباس عم النبي ،
وطلحة ، والزبير ، وغيرهم من السابقين إلى الاسلام الذين
اتحدوا مع علي بن أبي طالب (٣) .

(1) Hell, Die Kultur Araber "Translated by
Khuda Buksh p. 34.,

(٢) ولو أن رئيسها فيما يقال لم يبايعه حتى قضى نجه .

(٣) سيرة ابن هشام (طبعة وستفالد) ج ٢ ص ١٠١٣

وهكذا تم الأمر لأبي بكر... حدث كل ذلك بعد وفاة النبي بساعات قلائل. على أن البيعة لم تتم في حقيقة الأمر إلا في اليوم التالي للوفاة إذ جاءت العامة فبايعت أبا بكر بالخلافة، فكان أول خليفة في الإسلام. وتسمى البيعة الأولى «البيعة الخاصة». أما الثانية: فتسمى «البيعة العامة» وهي تؤكد للبيعة الخاصة (١).

البيعة العامة

بعد هذا نرى أبا بكر يعتلي المنبر فيلقى خطبة هي أقرب شيء إلى خطاب العرش مما يعرفه الناس في النظم البرلمانية الحديثة (٢)، وهو خطاب له قيمته الدستورية، إذ يدل دلالة قاطعة على روح الديمقراطية التي انطوى عليها الحكم الإسلامي.

(١) سيرة بن هشام (طبعة وستفيلد) ج ٢ ص ١٠١٧

(٢) راجع هذه الخطبة في الطبرى ج ٣ ص ٢٠٣ (طبعة مصرية)

عمر بن الخطاب

مات أبو بكر الصديق بعد مرض لازمه بضعة أيام ،
كان أثنائها شديداً التفكير في أمر المسلمين بعده ، فقد
أدرك بنفسه ما دار في السقيفة . ومن هنا رغب في أن
يتدارك الأمر قبل أن ينتقل إلى جوار ربه ، حتى لا يقع
المسلمون فيما كادوا يقعون فيه أيام استخلافه هو من
اضطراب في الصفوف ، واختلاف في الآراء والنزعات .
ولم يجد خيراً من عمر بن الخطاب شخصاً يثق به جمهور
المسلمين لتولية الحكم من بعده . ولم يكن أبو بكر في ذلك
مستبداً للنزعة ، فقد دعا كثيراً من الصحابة في المدينة
لاستطلاع رأيهم في هذا الأمر . أما غيرهم من كبار
الصحابة ، فقد كانوا يحاربون في ميادين القتال خارج
الجزيرة العربية .

تعيين عمر

ولقد كان عمر بن الخطاب خليفاً بهذه الخلافة كما
كان علي بن أبي طالب من الصحابة الكرام الذين يتطلعون
إليها في نظر البعض . إلا أن الأول « ربما يريد الأمر
فيرى في طريقه عقبة فيدور إليه والثاني يرى الاستقامة

فلا يبالى بالعقبة تقوم بين يديه ، فهو إلى الشدة أميل منه
إلى اللين (١) .

وليس يعنينا الآن أن نتحدث عن وجوه الإصلاح
التي قام بها عمر بن الخطاب ، إنما كل ما يعنينا أن نعرض
لشخصيته وما كان لها من أثر في إدارة الدولة الإسلامية
من الوجهة العمرانية العامة .

نشأ عمر أيام الجاهلية في مكة ، تلك البيئة الصالحة
لأخراج الشخصيات الفذة ، لما لها من مركز ممتاز ، فقد
كانت تتصل بالبلاد الأخرى عن طريق التجارة ، ودرج
عمر في هذه البيئة ، فعرف بلاد الروم ومصر ، كما عرف
الحبشة والشام . وهو من قبيلة عدى إحدى القبائل
المستضعفة من قريش . أبوه من عدى ، وأمه تنتمي إلى
قبيلة قوية في الجاهلية من بني مخزوم . فاذا كانت الأولى
ضعيفة ، فقد كانت الأخرى قوية . وكانت لعمر السفارة
في الجاهلية ، كما ورد في العقد الفريد لابن عبد ربه (١) ،
وهي مركز يسند إلى شخص يحتكم إليه أهل القبائل
إذا ما اشتد الجدل أو دب النزاع بينهم .

نشأته

(١) أشهر مشاهير الإسلام لرفيق بك العظم - المجموعة الأولى ص ١٣٣

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ٨

ولا شك في أن شخصية عمر بن الخطاب من الشخصيات البارزة في التاريخ ، فلئن كان التاريخ الحديث يفخر بنابليون بونابرت ، والتاريخ القديم بالاسكندر الأكبر ، فإن تاريخ الشرق الوسيط لخليق به أن يفخر هو أيضاً بعمر بن الخطاب ، فهو يمتاز بميزات جليلة من نواح شتى : سواء في الحروب والادارة ، أو التشريع والسياسة . فهو الذي وطد أركان الدولة العربية ، وساس قبائلها ، وأحسن سياستها ، كما كان ورعاً ، متقشفاً ، يقوم بواجبه لا يخشى في الله لومة لائم . ولم يكن في ذلك يحاي كبيراً ، أو يأكل مال الضعيف . وكان متحمساً للحق لدرجة الصلابة فيه ، رغم ما اشتهر عنه من العطف على الضعفاء . كما أنه كان قاضياً شديداً النزاهة ، وبخاصة نحو نفسه . ولا غرو ، فقد ولد حاكماً بطبيعته ، كامل الرجولة في كل خطوة من خطوات حياته (١) .

(1) Nicholson, A Literary History of the Arabs, p 180.

قصة الشورى

(١) من هو عثمان ؟

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن عبد شمس
ابن أمية بن عبد مناف بن قصى الأموى القرشى ؛ وأمه
أروى بنت كـريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس
ابن عبد مناف بن قصى .

مولده

ولد فى السنة الخامسة من ميلاد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وشب على الخلق الكريم ، والسيرة الحميدة ،
كما كان حياً عفيفاً ، ولما بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان عثمان من السابقين الأولين ، أسلم على يد
أبى بكر ، وزوجه النبى عليه الصلاة والسلام ابنته رقية .
فلما أذى مشركو قريش المسلمين ، هاجر بها من مكة إلى
الحبشة ، ثم رجع إلى مكة قبل هجرة المدينة . فلما أذن الله
بالهجرة ، هاجر إليها هو وزوجته ، وحضر مع رسول الله
كل مشاهده ، ولكنه لم يحضر بداراً إذ أخلفه عليه الصلاة
والسلام لتريض زوجته رقية التى توفيت عقب غزوة

بدر . ولكن الرسول أسهم له في غنائم بدر ، ثم زوجته بنته الثانية أم كلثوم . وكان في « الحديبية » سفيراً بين رسول الله وبين قريش . فلما شاع غدرهم بعثمان بايع فضل عثمان النبي أصحابه بيعة الرضوان وقال بيده النبي : هذه هي يد عثمان فضرب بها على يده اليسرى .

وكان لعثمان اليد الطولى في جيش العسرة إلى تبوك (١) . فقد أنفق من ماله الخاص الشيء الكثير كما اشترى بئر رومة منه أيضاً ، ثم تصدق بها على المسلمين ، فكان رشاؤه فيها كرشاء واحد منهم . وقد أثر عن النبي أنه قال : « من حفر بئر رومة فله الجنة » ، وكان رضى الله عنه كاتب الوحي بين يدي الرسول .

ولما توفي النبي عليه السلام كان عثمان لأبى بكر ثم لعمر مشيراً أميناً ، كثيراً ما استشير في مهام الأمور .

(١) سيرة ابن هشام طبعة وستنفلد ج ٢ ص ٨٩٥

ب - بيعة عثمان :

ولئن كانت خلافة أبي بكر قد جرت عن طريق الانتخاب كما بينّا فإن استخلاف عثمان بن عفان رضى الله عنه قد جرى عن طريق جمع بين الطريقتين الأولين : الترك والتعيين . ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ترك الأمر للمسلمين ، فانتخب أبو بكر خليفة لهم . وأما أبو بكر فقد كتب كتاباً للأمة يوصيها فيه باستخلاف عمر بن الخطاب (١) .

وحدث أن طعن عمر رضى عنه الله ، تلك الطعنة التي أودت بحياته . ولا شك أنه قد عانى كثيراً من الآلام الفكرية إلى جانب آلامه الجسمية ، ولكنه مع ذلك لم يرد أن يترك جماعة المسلمين تتخبط في ظلام دامس . ولقد استولت على عمر الحيرة : فهل يسير على طريقة الرسول فيترك الأمر للمسلمين دون تعيين أو ترشيح ، أو يتبع طريقة أبي بكر من حيث التعيين ؟

(١) الأمانة والسياسة لابن قتيبة ص ١٦

على أنه خشي الأمرين جميعاً : إذ رأى بنفسه ما أدى إليه التنافس الشديد على الخلافة بعد موت الرسول ولما يدفن بعد .. ! كذلك كان يخشى أن يعين شخصاً بالذات . لأن افتقاد مثل ذلك الشخص أمر عسير إذ لم يجد بين المسلمين من يدانيه قوة وبأساً .

لهذا نراه يسلك سبيلاً ثالثاً يجمع بين الرأيين حتى لا يترك جماعة المسلمين دون الفصل في هذا الموضوع .
ديمقراطية أصيلة .
نراه يرشح ستة من رجالات عصره توفي النبي وهو عنهم راض ، وهم : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وسعد ابن أبي وقاص ، والزيبر بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين .

وفي هذا الترشيح نفسه دليل على نزول عمر على مبادئ الديمقراطية الصحيحة لأنه لم يدخل ابنه عبد الله — مع بلائه وعظيم شخصيته — في سلك المرشحين للخلافة وقد سئل عن سبب ذلك فقال : حسب بني الخطاب أن يتولى الخلافة واحد منهم أى شخصه هو ، وذلك ثبت أن فكرة التوريث في نظام العرب الإسلاميين فكرة معدومة ، لا وجود لها أصلاً . فنظام الشورى هو في الأصل نظام

يتفق والتقاليد العربية التي لم تكن تؤمن إلا بالا انتخاب .
ثم إن الشورى نظام يتمشى مع التعاليم الإسلامية لأنها
ترى نظام الوراثة هو بنفسه نظام الحكم فى بلاد الفرس ،
ذلك النظام الذى كان العرب يحملون عليه فى كثير من
المقت والكراهة .

الشورى

اجتمع هؤلاء الستة بأمر عمر بن الخطاب للتشاور ،
ثم ارتفعت أصواتهم . فقال عبد الله بن عمر : « سبحان
الله ! إن أمير المؤمنين لم يمت بعد . » وأسمعه ذلك فانتبه
وقال : ألا أعرضوا عن ذلك أجمعين ، فإن مت
فتشاوروا فى الأمر ثلاثة أيام ، وليصل بالناس صهيب (١)
ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ، ويحضر
ابنى عبد الله بن عمر مشيراً ، ولا شئ له فى الأمر . وطلحة
فهو شريككم فيه ، فإن قدم فأحضره أمركم . وما أظن
أن يلى إلا هذين الرجلين : على ، أو عثمان . فان ولى عثمان ،
فرجل فيه لين . وإن ولى على ، فرجل فيه دعاة . وأحر

(١) كان صهيب رقيقاً من أصل روماني افتداه النبي من ماله وصار الى
جانبه بمثابة ناموس خاص له وقد نصب على رأس الجماعة الإسلامية حتى يتم
اختلاف الخليفة .

أن يحملهم على طريق الحق، وإن تولوا سعداً، فأهلها هو ،
وإلا فليستعن به الوالى ، فأنى لم أعزله عن خيانة ، ولا
ضعف ، ونعم ذو الرأى عبدالله بن عوف ، مسدد رشيد ،
له من الله حافظ ، فاسمعوا منه .

وقال لأبى طلحة : يا أبا طلحة : إن الله طالما أعز
الاسلام بك ، فاختر خمسين رجلا من الأنصار . فاستحث
هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم (١) .

تحليل
خطة عمر
هذه هى خلاصة الخطة التى رسمها عمر بن الخطاب فى
صدداستخلاف واحد من هؤلاء الستة ، وهى خطة أملاها
عليه الموقف الذى كان فيه . وإن نظرة دقيقة إليها
لكيفيلة بأن تبين إلى أى حد كان عمر بن الخطاب فذاً فى
تفكيره ، حصيفاً فى رأيه . فهو فضلا عن أنه جمع هؤلاء ،
ونصح كلا منهم على حدة ، فإنه لم يجعل البت فى الأمر
قيد ساعة أو يوم ، بل جعل ذلك يتم فى ثلاثة أيام ، ثم
إن اختياره صهيباً لرياسة الحكم فى هذه الأيام الثلاثة ،
مظهر من مظاهر الديمقراطية العربية فى ذلك الوقت .
هذا إلى أن عمر بن الخطاب قد أكمل الخطة ، فأمر أنه

(١) الطبرى (طبعة مصر) ج ٥ ص ٣٣

إذا أجمع خمسة منهم أو أربعة على انتخاب شخص ، خالفهم فيه رجل أو اثنان ، قتل المعارضون . . . ! وإذا كان هوى ثلاثة منهم في شخص ، يعارضهم فيه ثلاثة آخرون . احتكموا إلى عبد الله بن عمر ، حيث جعل عمر رأيه مرجحاً . وكان الغرض من كل ذلك ، قطع الطريق على كل من قد تحدّثه نفسه بالقيام بفتنة ، أو انقلاب حزبي كائناً ما كان ذلك الحزب .

المنافسة

ولمادفن عمر ، جمع المقداد بن الأسود أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة (١) وهم خمسة معهم عبد الله بن عمر ، وكان طلحة غائباً . وعلى الرغم من أن عمر قد حصر الانتخاب ، في ستة رجال ورسم لهم الطريق التي تتبع في الانتخاب ، فإن الأمر لم يمر بسهولة : لأن كلا من هؤلاء كان شديد الحرص على أن يلي الخلافة بنفسه إن لم يلها أحد من أقربائه وذوى عصيته .

على أن بعضهم — كعلي مثلاً — كان يعتقد أنه أحق بالخلافة من غيره لأنه ابن عم النبي وصهره ، ولأنه أبلي البلاء الحسن في نصره الإسلام ، يضاف إلى ذلك أنه يمثل الهاشميين أقرباء النبي الأديين .

(١) ويقال في بيت المال ، ويقال في حجرة عائشة بأذنها .

أما عثمان : فقد كان له مقام أدبي كبير . فهو أكبر المرشحين سنّاً ، ثم إنه ضحى بأكثر ثروته في رفعة الإسلام ونصرته ، فهو يرى أنه لذلك كله جدير بأن يلي الخلافة وكان يمثل الأمويين .

أما طلحة : فكان غائباً كما قدمنا . وأما سعد والزبير : فكان ميلهما نحو عثمان . وأما عبد الرحمن بن عوف ، فعلى الرغم من أنه كان من أقرباء عثمان إلا أنه كان رجلاً نزيهاً غير أناني في هذا الموقف . ويعتبر ابن عوف رضي الله ^{جهود} عنه المحور الذي تدور عليه رحي الحوادث في قصة الشورى . عبد الرحمن بن عوف فقد استطاع بحكمته وحسن سياسته ، أن يحل العقدة في هذه المشكلة . ذلك أنه عندما رأى أن التنافس قد اشتد ، وأن الأيام الثلاثة التي عيّنها عمر أوشكت على الانتهاء دون أن يصلوا إلى بغيتهم ، نراه يقترح عليهم اقتراحاً يتلخص في أن يتنحى واحد منهم عن حقه في الترشيح للخلافة ، على أن تكون له الكلمة الفاصلة ، فلم يجبه أحد . فقال : أنا أنخلع منها . فقال عثمان : أنا أول من رضي ، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول : أمين في الأرض ، أمين في السماء . فقال القوم : قد رضينا .

وأما علي : فقد كان ساكتاً لا يتكلم . فقال ابن عوف :
ما تقوله يا أبا الحسن ؟ فقال : « أعطني موثقاً من الله
لتؤثرن الحق ، ولا تتبع الهوى ، ولا تخص ذا رحم ،
ولا تألو الأمانة . » ثم أخذ عبد الرحمن من الصحابة
المواثيق ، فأجابوه إليها وأعطاهم مثلها .

أخذ عبد الرحمن يختلي بعد ذلك بكل من المرشحين
الموجودين ، فيقول لعلی : « إنك تقول : إنك أحق من حضر
بالأمر لقرابتك ، وسابقتك ، وحسن أثرك في الدين ولم
تبعد ؟ ولكن أرأيت لو صرف الأمر عنك فلم تحضر ،
من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق بالأمر ؟ » قال :
— عثمان بن عفان .

وخلال عثمان فقال له : « تقول شيخ من بني عبد مناف ،
وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ، ولي
سابقة وفضل ، فلن يصرف هذا الأمر عنى . لكن
لو لم تحضر فأى هؤلاء الرهط تراه أحق ؟ » فقال :
— علي بن أبي طالب .

وفعل ذلك مع سعد بن أبي وقاص ، والزيبر بن العوام .
وقد قالوا : عثمان .

ويقال إن عبد الرحمن بن عوف لم ينم مدة الشورى ،
بل ظل يواصل الجهود ليلاً ونهاراً طيلة هذه الأيام
الثلاثة . وفي صبيحة اليوم الرابع اجتمع الناس في المسجد ،
فلما صلوا الصبح ، جمع الرهط ، وبعث إلى من حضر من
المهاجرين ، وأهل السابقة والفضل من الأنصار ، وإلى
أمراء الأجناد . فقال :

— أيها الناس ! إن الناس قد أحبوا أن يلحق أهل
الأنصار بأمصارهم ، وقد علموا من أميرهم . فقال سعيد
ابن زيد : إنا نراك لها أهلاً .

وقال عبد الرحمن : أشيروا عليّ بغير هذا .
فقال عمار بن ياسر :

— إن أردت ألا يختلف المسلمون فبايع علياً .

وقال عبد الله بن سعد بن سرح :

— إن أردت ألا تختلف قريش فبايع عثمان .

فقال عبد الله بن أبي ربيعة : إن بايعت عثمان ، قلنا
سمعنا وأطعنا . فثبتم عمار بن أبي سرح ، وتلاحى بنو هاشم
وبنو أمية . فقال سعد بن أبي وقاص لعبد الرحمن : أسرع
قبل أن يفتتن المسلمون . فدعا عبد الرحمن علياً وقال :

—عليك عهد الله وميثاقه ، لتعملن بكتاب الله وسنة
رسوله ، وسنة الخليفين من بعده .

فقال علي :

أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علي وطاقي .
ودعا عثمان فقال له مثلها قال لعلي ، فأجابه الى طلبه ،
فبايعه عبد الرحمن . ثم قال علي له :

غضب علي

« حبوته حبو دهر . ليس هذا أول يوم تظاهرت
فيه علينا . فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .
والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر اليك . والله كل
يوم هو في شأن . » ثم بايع علي عثمان وخرج وهو
يقول : سيبلى الكتاب أجله (١) .

وكان ذلك في يوم الاثنين ليلة بقيت من ذى الحجة
سنة ثلاث وعشرين للهجرة (٧ نوفمبر سنة ٦٤٤ م) .

وربما أحفظت إجابة علي عبد الرحمن بن عوف لما فيها
من نزوع إلى التجديد وحرية الفكر مما كان يتنافى مع
الروح السائدة في بدء النظم الإسلامية ، من ضرورة التمسك
بآثار السابقين .

(١) الطبرى ج ٥ ص ٣٣ — ٣٧

ج - أثر بيعة عثمان :

أما أن خطة عمر قد نفذت بحذافيرها فهذا ما لم يكن :
فلقد رأينا أن ابنه عبد الله بن عمر لم يستشر مطلقاً ، ثم إن
عمر جعل الأمر لأهل الشورى دون أن يدخل عامة
المسلمين في الانتخاب . وهو بذلك قد حرم عدداً لا يستهان
به من جماعة المسلمين من حق التصويت لانتخاب رئيس
الدولة العربية . إلا أن عبد الرحمن بن عوف قد تدارك الأمر
فأشرك العامة في استشارتهم ، وهذا هو الذي أزال كفة
عثمان بن عفان نظراً لنشاط الأمويين .

ومهما يكن من شيء ، فقد تمت بيعة عثمان عن طريق
التصويت والانتخاب ، وإن كان تصويتاً غير منظم . وهذا
الانتخاب وذلك التصويت يبينان بوضوح وجلاء كيف
أن الخلافة كانت إلى ذلك العهد متمشية مع ما تقتضيه
الروح الدينية . إذ ليس هناك وراثة ولا تعيين في الإسلام .
وإنما الأمر متروك للمسلمين ولتصرفهم في مثل تلك
الشئون .

ولقد ذهب بعض المستشرقين مذهباً آخر في صدد
قصة الشورى . فمنهم من يرى أن ما ذكره المؤرخون

رأى المستشرقين حول هذه القصة أمر مبالغ فيه ، إن لم يكن مختلفاً من أساسه .
نعم ! هم يرون أنه لم تكن هناك وصية عمرية ، وأنه لم يكن
اختار هؤلاء الرجال الستة ، بل إن عمر توفى دون أن
يوصى بشيء من ذلك ، وأن هؤلاء الستة إنما اجتمعوا من
تلقاء أنفسهم لانتخاب الخليفة الذى تم اعتلاؤه كرسى
الخلافة على نحو ما بينا .

الرد عليهم
هذا هو بحمل رأيهم . فهل من دليل ؟ أما دليلهم الذى
يسوقونه ، فهو أن رجلاً كعمر طعن هذه الطعنة التى أودت
بحياته ليتعذر عليه إجهاد فكره فى مسألة دقيقة كمسألة
الانتخاب . تلك المسألة التى تحتاج إلى الأعصاب فى حالتها
الطبيعية . وهو دليل عقلى محض لا يستند إلى وثائق تاريخية ،
إنما يرجح هؤلاء المستشرقون ما يرون أنه غير معقول ،
أو معقول من غير استناد إلى الوقائع التاريخية .

ونحن نرد على ماذهب إليه هؤلاء المستشرقون بأنه
لا يبعد مطلقاً أن يكون عمر قد فكر وأجهد فكره على
الرغم من طعنته ، لأننا نعرفه ، رضى الله عنه ، قوى البنية ،
طويل القامة كثير الاحتمال . بل لماذا نستبعد أن يكون
عمر قد صحا صحوة الموت مما يقع لبعض الأفراد الذين

يوشكون على الارتحال إلى الدار الباقية .. ؟ ولعل عمر
في هذه الصحوّة استطاع أن يوحى بثاقب فكره بتلك
الخطّة التي رسمها . بل لماذا نستبعد مقدرة عمر على
الاحتمال في محنة مرضه ، ونحن نرى عبد الرحمن بن عوف
لا ينام ليلة واحدة وقت الشورى ، وهذه الحادثة قد
أجمع عليها المؤرخون ؟

هذا إلى أننا أمام النصوص التاريخية الصحيحة لا نجد
محلا للأخذ برأى هؤلاء المستشرقين : فنحن نستند إلى
دليل تاريخي ملموس لا شك في صحته ، بينما لا يخرج
رأيهم عن الشك والتخمين .

ومنذ اليوم الذي انتخب فيه عثمان بن عفان خليفة
للمسلمين ، تجدد النزاع الذي قام بين الأمويين وبنى هاشم ،
وأتاحت الفرصة لأحياء الأحقاد والأحن بين بنى هاشم
وبنى عبد مناف ، وإذ كائها بعد أن كادت تقضى عليها التعاليم
الاسلامية ، حتى كادت الحرب تعود بينهم سيرتها الأولى .

الفصل الثاني

عوامل الفتن

١ - النزاع بين بني هاشم وبني أمية

كان هذان البيتان يتنازعان الرياسة منذ العصر الجاهلي ، ويظهر أن السبب في هذه الفوارق الأدبية يرجع إلى أن الأمويين كانوا أهل عمل كما يؤخذ من تاريخهم القديم ، فهم يحبون التجارة وكسب المال حباً جماً . وكانوا شديدي الحرص على المكانة الاجتماعية القائمة على الجد والعمل الشخصي .

أما الهاشميون : فكانوا رجالاً يعولون على شرفهم الرفيع ، وقلما يُعنون بالنزول إلى ميدان العمل والمنافسة الفعلية . فهم طبقة أرستقراطية تعيش على مجدها التليد ، وتطلب إلى الناس احترامهم وإجلالهم ورعاية حقهم .

ويروى لنا الطبري قصة طريفة تتلخص في أن هاشما
وعبد شمس وُلدا توأمين وأن أصبع أحدهما كانت
ملصقة بكشف الآخر، ولما وُلدا أحدهما قبل الآخر اضطروا
إلى فصل الأصبع، فسال منه الدم، فتفأل الناس من ذلك
شراً وتوقعوا أن حروباً سوف يستعر نارها، ويتأجج
سبب العداوة بينهما
لهيها بين بنى هاشم وبنى عبد شمس (١).

ولتلك الرواية الشائعة قيمتها، لأنها أول ما يؤثر عن
بدء العداوة بين هذين البيتين. ونجد أن هاشم بن عبد مناف
ورث ما كان لأبيه من السقاية والرفادة. وكان رجلاً
جواداً معطاءً. وقد سمي بهذا الاسم لأنه كان يطعم الناس
في الحرب ويهشم لهم الثريد ويطعمهم، فساد بذلك وحسده
أمية بن عبد شمس على رياسته وإطعامه. وكان هاشم
فقيراً، ولكنه كان محبوباً ظفر بأمانة لم يظفر بها ابن أخيه
أمية. وقد تكلف أمية أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه،
فشمت به ناس من قريش، فغضب ودعا عمه إلى المنافرة.
فكره ذلك هاشم لسنه وقدره. وقبل هاشم المنافرة أخيراً
على شرط أن يؤدي المغلوب للغالب خمسين ناقة سوداء،

(١) الطبري طبعة مصر ج ٢ ص ١٨٠

وأن يرحل عن مكة عشر سنوات . فقبل ذلك أمية ، وحكما
بينهما كاهناً من قبيلة خزاعة ، فغلبه هاشم وأخذ النوق
وذبحها وأطعمها للناس . وخرج أمية من مكة ومكث عشر
سنوات (١) .

وظلت الرفادة والسقاية في بني هاشم حتى توفي . ثم
انتقلت إلى أخيه المطلب لصغر ابنه عبد المطلب بن هاشم .
ولم تلبث تلك العداوة أن تجددت في الجاهلية ، إذ قامت
الحرب بين عبد المطلب بن هاشم ، وحرب بن أمية انتصر
فيها عبد المطلب على حرب بن أمية (٢) .

في الإسلام ولما جاء الإسلام ، ارتفع شأن بني هاشم لأن النبوة
كانت فيهم ، تلك النبوة التي كانت مرجحاً عظيماً لهم .
ومن هنا كانت الجاهلية لبني أمية والإسلام لبني هاشم .
وزاد الطين بلة — كما يقولون — أن الأمويين ناهضوا
النبي والإسلام ، فعداوة كبيرهم أبي سفيان بن حرب بن أمية
لرسول الله ، ومحاربتة إياه أمر معروف في التاريخ ، ولم يكن
خلاصه إلا بشفاعة العباس بن عبد المطلب ، وقد طلب
له حينئذ ما طلب حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من

(١) الطبري ج ٢ ص ١٨٠

(٢) شرحه ج ٢ ص ١٨١

دخل دار أبي سفيان فهو آمن». فكانت المكافأة عن تلك
 اليد البيضاء التي قامت بهذه الشفاعة محاربة على ، وتسميم أعداء الاسلام
 ابنه الحسن ، وقتل الحسين ومن معه من أولاد علي وقرابات
 النبي صلى الله عليه وسلم وحمل نسائهم وذرائعهم حواسر
 على الأقتاب (١) والكشف عن سوءة علي بن الحسين لما
 أشكل عليهم بلوغه . وقتل بسر بن أرطاة وزير معاوية
 ابني عبدالله بن العباس ، طفلين صغيرين حتى تدهلت أمهما
 وحز ذلك في نفسها حزاً أليماً !!!

وإذا نحن أردنا أن نعد غير أبي سفيان لذكرنا كثيراً
 منهم ، قاموا بالعداء والتشنيع على النبي وعلى الاسلام
 والمسلمين . فمنهم: سعيد بن العاص بن أمية ، وكان من أشد (١)
 الناس عداوة وبغضاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 ومات مشركاً . ومنهم الحكم بن أبي العاص طريد رسول (٢)
 الله ولعيته ، كان يؤذى النبي ويتطلع لأخباره بالمدينة ،
 ويخبر بها الكفار . ومشى مرة خلف النبي وهو يتخلج (٢)

(١) الأقتاب : القتب للغير جمعه أقتاب مثل : سبب وأسباب والأقتاب
 هي الأئمة واحدها قتب مثل أحمال وحمل . وقد يؤنث الواحد بالهاء فيقال :
 قتبة وتصغيرها قتيبة وبها سمى الرجل .
 (٢) اختلج العضو اضطرب والمراد مفهوم .

بأنفه و يتمايل ، كأنه يحاكي النبي . فلما التفت إليه النبي
ورآه قال له : « كن كذلك » فظل طول حياته كذلك ،
(٣) عقوبة من الله تعالى . ومنهم : عقبة بن أبي معيط اشتهر
بأيذائه لرسول الله : وجد النبي ساجداً لربه . فوطأ عنقه
الشريف وطأة شديدة ، ووجده كذلك مرة أخرى
فوضع عليه سلى جزور (١) كان ملقى في قمامة الطريق .
فأمر النبي علياً فقتله . وقال للنبي متعظاً :

— يا محمد . . من للصية ؟ قال : النار . . . !

(٤ و ٦) ومنهم : عتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وشيبة بن ربيعة ،
وكلهم كانوا أعداء للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأعداء للمسلمين
والإسلام ، وقد قتلوا جميعاً بيدر كفاراً .

(٧) ومنهم كذلك : هند بنت عتبة التي ساومت وحشياً (٢)
على قتل النبي أو قتل على كرم الله وجهه ، أو حمزة رضي الله
عنه ، ثاراً لا أيها عتبة ؛ فلما قتل حمزة لاكت كبده ،
واتخذت لها حلياً من أعضائه . . ! وأعطت وحشياً كل

(١) السلى الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه .

(٢) وهو قاتل حمزة يوم أحد : سيرة ابن هشام طبعة وستفلد ج ٢

ماتحمل من حلى ولباس، نظير قتل حمزة (١) وقد استثنائها من الأمان العام يوم الفتح وأمر بقتلها فيمن أمر بقتله فأُسلت، وهى أم معاوية .

ومن الذين آذوا النبي أيضاً معاوية بن المغيرة، وكان (٨) النبي قد طرده من المدينة وأجله ثلاثاً حتى حيره الله، ولم يزل يتردد فى ضلاله، حتى بعث النبي علياً وعماراً فى أثره فقتلاه ومات كافراً .

ومنهـم : حمالة الخطب عمـة معاوية (٢) وكانت تسب النبي وتؤذيه، وتضع الشوك فى طريقه، وهلكت كافرة . كل هؤلاء وكثير غيرهم من أقربائهم بذلوا جهدهم وجدهم فى عداوة النبي وعداوة الله، وفى إيذاء الرسول والمسلمين حتى ألجأوهم (٣) إلى الهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة فراراً من اضطهادهم وظلمهم . وقد هموا بقتل النبي عليه السلام غير مرة، فحفظه الله منهم . ولما هاجر إلى المدينة جعلوا لمن يقتله مائة بغير .

محاولتهم
قتل النبي

(١) الطبرى ج ٢ ص ٢٣

(٢) المراد هنا بحمالة الخطب أنها نمامة توقد النمرور بين الناس .

(٣) بلغ عدد الذين هاجروا الى الحبشة ١٠١ مهاجر منهم ٨٣ رجلا

واحدى عشرة امرأة قرشية وسبع نسوة غير قرشيات ، وجميعهم من المسلمين الذين خفى النبي أن يتألمهم أذى قريش .

ولما توفي عمر بن الخطاب رضى الله عنه، عاد الهاشميون
والأمويون إلى ما كانوا عليه من التنافس على الخلافة
سيرتهم الاولى . وقد علق «سيد أمير علي» على قصة الشورى رأى
سيد أمير علي وأثر الأمويين في النزاع بينهم وبين هاشم فقال : « إن
حرص عمر بن الخطاب على مصلحة المسلمين قد دفعه
إلى اختيار هؤلاء الستة من خيرة أهل المدينة، ومن
أهل السابقة في الإسلام، دون أن يتبع في ذلك
سنة سلفه أبي بكر . ومن ثم مهد السبيل لمكائد
الأمويين ودسائسهم ، وكان الأمويون يكوّنون حزباً
قوياً في المدينة كما كانوا طيلة حياتهم ينافسون الهاشميين
من أهل البيت، ويبغضونهم بغضاً شديداً، ولا غرو فقد
ناصروا الرسول العداء، وكادوا له المكائد، ولم يدخلوا
الإسلام إلا مكرهين مدفوعين إلى ذلك بدافع الحرص
على مصالحهم، والمحافظة على حياتهم، ومن ثم اتخذوا
الإسلام وسيلة لسد مطامعهم الأشعبية، وفرصة مواتية
إلى رفعة شأنهم، وتشديد صروح مجدهم على أكتاف
المسلمين » (١)

(1) Sayed Amir Ali, A Short History of the
Saracens, P. 55.

ومن الأنصاف للتاريخ أن نذكر أن فيما ذهب إليه رأينا فيما قاله المؤرخ « سيد أمير على » من اتهامه للأمويين ، وحملته عليهم ، تشهيراً صريحاً بهم ، ومبالغة كبيرة في اتهامهم ، فليس بنو أمية وحدثهم هم كل العرب الذين ناهضوا الإسلام في نشأته ، وإنما اشترك في ذلك سائر قبائل قريش ، ومنها بنو فهر ، وبنو عدى ، وبنو مخزوم ، وغيرهم من بطون قريش وأخذها . ومن الذين ناهضوا المسلمين أيضاً : بنو هاشم أنفسهم ، فقد كان منهم أبو لهب وابنه وزوجته (وإن قيل أنها من البيت الأموي) .

وقد كان من الطبيعي أن يكثر عدد الأمويين وغيرهم من الذين ناهضوا الإسلام ، ودعوة النبي لتخوفهم جميعاً على السواء من أن يستأثر الهاشميون بالنفوذ في هذا العهد الجديد .

على أنهم لم يجدوا بعد وفاة عمر صعوبة تذكر في الاهتداء إلى من يخلفونهم من قبائل البدو وغيرهم من كانت تربطهم بهم روابط الدم والقراية ، ومن ثم نجحوا بدسائسهم — على ما ذهب إليه سيد أمير على — في إقصاء على عن الخلافة . وقد نجح هؤلاء فيما دبروه وانتهى

الأمر إلى عثمان بن عفان أحد أفراد البيت الأموي ، بعد
مناظرات ومجادلات دامت أياماً ، انتصر بعدها بنو أمية
على بني هاشم .

والخلاصة أن كلام بنو هاشم وبنو أمية كانوا شديدي
التنافس على الشرف والرئاسة . وقد ظهر ذلك التنافس
بين الفرقين في الجاهلية والإسلام ، وزاد ظهوراً في
حادثة الشورى .

وقد اشتد النزاع ، منذ استخلاف الأمويين عثمان
ابن عفان ، بين حزيني قوين هما : حزب الأمويين أنصار
عثمان ، وحزب بني هاشم أنصار علي بن أبي طالب .

٢ - سياسة عثمان

للدولة العربية منذ نشأتها سياستان : سياسة
اقتصادية ، وسياسة إدارية . أما الأولى : فخاصة بالمال
وما فرضته الشريعة من قوانين خاصة به ، سواء في الحرب ،
أو السلم . وأما الثانية : فتتعلق بالفتوحات والولايات
والولاة . ولقد كانت سفينة الدولة العربية تسير في
طريقها منذ نشأة الدولة الإسلامية ، يرعاها النبي ومن

بعده ، أبو بكر ، وعمر ، ويشد أزرها هؤلاء المجاهدون في
سبيل الله لا يباليون بحياة أو موت ، بل ربما كان
المؤمنون أشد حرصاً على الحياة الأخرى ، يرحبون بالموت
ما دام في ميدان الجهاد ، لا تحرهم شهوة . ولا يدفعهم
هوى . وكان أبو بكر وعمر في الحق خير من يسوس هذه
الأمة العربية ، الطموحة إلى الفتح ، المتحفزة نحو المجد ، فقد
ساس كل منهما هذه الدولة سياسة متزنة رشيدة .

قصة الهرمزان

أما عثمان : فقد واجهته المشاكل والخطوب . وكان
أول ما واجهه : مقتل سلفه عمر بن الخطاب . فلقد شاع
عقب وفاته أن قتله لم يكن من عمل أبي لؤلؤة وحده ، بل
كان هناك أشخاص آخرون اشتركوا في قتله . إذ قال
عبد الرحمن بن أبي بكر غداة طعن عمر : مررت على
أبي لؤلؤة أمس ومعه جفينة والهرمزان وهم نجى . فلما
أرهفتهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان ، نصابه في
وسطه فانظروا بأى شيء قتل . . . !! وقد ثار رجل فقتل
أبا لؤلؤة وأخذ منه الخنجر . وما أن توفي عمر حتى أخذ

قتل عمر

ابنه عبد الله سيفه ، فأتى الهرمزان فقتله ، ثم مضى إلى جفينة (١) . فعلاه عبد الله بالسيف . ولما سمع بذلك صهيب ، أرسل إليه من أتى به ، وأخذ منه السيف وحبسه ، حتى يتم الاستخلاف ، وينظر الخليفة الجديد في أمره .

فلما بويع عثمان جلس في المجلس ، ودعا عبد الله ، ابن عمر ، ثم قال لجماعة المهاجرين والأنصار : أشيروا عليّ في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق . فقال عليّ : أرى أن تقتله . فكبر ذلك على بعض المهاجرين . فقالوا :

— قتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم .. ١٩٠

فقال عمرو بن العاص :

— يا أمير المؤمنين : إن الله قد أعفاك أن يكون

هذا الحدث كان ، ولك على المسلمين سلطان . إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك .

قال عثمان : أنا وليهم ، وقد جعلتها دية واحتملتها في مالي .

(١) نصراني من أهل الحيرة أقدمه سعد بن أبي وقاص إلى المدينة ليعلم بها الكتابة .

تلك هي القضية الأولى التي واجهت عثمان بن عفان .
ومنها نرى تيارين مختلفين متضادين : فعلى بن أبي طالب
ومعه الأنصار ، يرون من الخير أن يقتل ابن عمر عملاً
بقوله تعالى : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين
بالعين ، والآنف بالآنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ،
والجروح قصاص) ، بينما نجد فريقاً آخرها له أن
يقتل عمر بالأمس ، ويقتل ابنه اليوم . . ! ولقد كان الحل
الذي اهتدى إليه عثمان في هذه الأزمة الحرجة ، حلاً
موفقاً لما فيه من محافظة على روح ابن عمر من جهة ، وعلى
إرضاء أهل القتل من جهة أخرى .

وعلى الرغم من هذا الحل الذي وفق إليه عثمان . فإن
الفريق الذي كان يطالب بقتل ابن عمر ، ظل متمسكاً برأيه . أول خلاف
ومن هنا : كان أول خلاف قام بين الراعي والرعية .
ذلك الخلاف الذي أخذ يشتد ويشد حتى عظم خطبه ، واتسع
نطاقه ، فشمل المدينة ، كما شمل الأمصار ، كما سيأتي بعد

خطبة عثمان

كان من التقاليد الإسلامية أن يجتمع الخليفة
بالمسلمين عقب استخلافه ، يُعلن على الملأ : خطبته الدينية ،

والسياسية، والمالية . وجرياً على هذه التقاليد: اعتلى عثمان المنبر في مسجد المدينة الذي كان بمثابة البرلمان الحالى ، وأعلن للناس خطته في هذه الدولة فقال :

نص الخطبة

« إنكم في دار قلعة ، وفي بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتم صبيحتكم أو أمسيتم ، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور ، واعتبروا بمن مضى ، ثم جدوا ولا تغفلوا ، فانه لا يغفل عنكم .

أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ، ومتعوا بها طويلاً ؟ ألم تلفظهم ؟ إرموا بالدنيا حيث رمى الله ، واطلبوا الآخرة ، فأن الله قد ضرب لها مثلاً - والذي هو خير - فقال عز وجل : (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا . المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً) .

وهذه الخطبة - فيما نرى - لا تكشف في الواقع عن خطة عملية ، واضحة للخليفة الجديد ، بل هي مجرد

المغزى العمل
لخطبة عثمان

نصائح دينية يتوجه بها عثمان إلى المسلمين، يزهدهم في الحياة الدنيا، دون أن يلزم نفسه بسياسة خاصة يمكن أن يطمئن إليها الشعب في خلافته الجديدة. وقد يرجع ذلك إلى طبيعة عثمان بن عفان ونفسيته، فهو شيخ قارب السبعين من العمر، كثير التعلق بآثار السلف، لا يرمى إلى دنيا، ولكن يرمى إلى دين.

كتب عثمان إلى الأُمصار

على أن عثمان ما لبث أن استدرك ذلك الأمر، فوجه همه إلى سائر الأقاليم الأخرى فبعث « منشورات دورية » - كما نقول الآن - إلى الأمراء، كما بعث مثل هذه المنشورات إلى أمراء الأجناد بالشعور، وعمال الخراج. وعامة المسلمين بالأمصار. وكل هذه المنشورات، ترمى إلى الأخذ بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإلى النظر في أمور المسلمين بعين العدل، وبخاصة في جباية الضرائب، ثم إنها ترمى إلى العطف على أهل الزمة وإعطائهم ما لهم، وأخذهم بما عليهم.

وكأنما كشف عثمان بن عفان عن سياسته في المستقبل حينما قال لأمراء الأجناد بالشعور:

« ولا يبلغنى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل ، فيغير الله بكم ويستبدل بكم غيركم . »

وكم كان سيدنا عثمان حكيما حينما نصح عمال الخراج فقال : أما بعد - فإن الله خلق الخلق بالحق ، فلا يقبل إلا الرفق
في جمع الضرائب الحق . خذوا الحق وأعطوا الحق به ، والأمانة الأمانة قوموا عليها . ولا تكونوا أول من يسلبها . فتكونوا شركاء من بعدكم . الوفاء الوفاء . لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد ، فإن الله خصم لمن ظلمهم .

※

※ ※

هذه هي الخطة التي رسمها الخليفة لنفسه من الوجهة النظرية ، وهي خطة رشيدة لو أن من قام على تنفيذها خليفة ذو بأس وحزم ، يعرف كيف يقف في وجه الزوابع والعواصف ، كما يعرف كيف يتخلص من الأهواء ، وما قد يحيط به من مؤثرات ونزعات .

الفتوح في عهد عثمان

على أن عثمان إلى جانب هذه الخطة السلمية قد قام بفتوحات على جانب عظيم من الأهمية في الست السنين

الأولى من حكمه ، نال فيها رضاء الأمة لنجاحه في هذه الفتوح .

لكن ذلك الرضاء لم يلبث أن انقلب إلى سخط ، ثم إلى ثورة ، وذلك في الست السنوات التالية من حكمه ، فقد أصبح هدفا لتلك الثورة التي أذكى نارها العامة ، والتي أدت إلى حصار داره وانتهت بقتله ... !

*

* *

الفتوح
عامل للثورة

لم تلبث ريح الفتح والتوسع أن ركدت ، إذ شيد العرب امبراطورية متسعة الأرجاء ، في مدة وجيزة . ذلك أن العرب قضوا على دولة فارس ، وانتزعوا أرض الروم ، وصارت رجالهم تقاتل على حدود الصين والترك ، كما أصبح ملكهم يتأخم بلاد النوبة . وكان ذلك الفتح مقرونا بحركة استعمارية عربية عنيفة ، حيث كانت القبائل العربية تهاجر من بلاد العرب وتستقر في البلاد المفتوحة ، وما يؤسف له حقيقة أننا لا نستطيع على وجه الدقة ، الوقوف على كنه ذلك النظام الاستعماري ، إنما نعلم أن كل قبيلة كبيرة كانت تنتقل إما برمتها ، أو كانت تنتقل بطن من بطونها إلى هذا الأقليم أو ذاك ... !! ولذلك فنحن

نسمع عن الأزد في البصرة ، بقدر ما نسمع عن الأزد
نظام الاستعمار في الكوفة ، والأزد في خراسان ... الخ مما يدل دلالة
العربي واضحة على أن كل قبيلة كقبيلة الأزد تفرقت في هذه
الأنحاء . وكان طبعياً أن ينقل هؤلاء معهم الروح العربية
القديمة ، وما تمتاز به من تعصب قبيل جاهلي ، وصارت
تلك البطون — أو القبائل — تحيا حياتها الأولى ، من
ميل للتعصب ، وحب للحرية المطلقة ، وتمرد على السلطان
الباطش . وهي خصائص امتاز بها البدوي منذ القدم .
تلك الخصائص التي كتبت تيار الفتح والتوسع ، وانشغال
العرب فيها بالحرب والغزو . فما أن ركبت ريح الفتح
أيام عثمان حتى أعطيت لهم فرصة التفكير في أمرهم ،
فظهرت فيهم روح العصية من جديد (١) .

ولقد كان هؤلاء المستعمرون من الأعراب غير
المتحضرين . وبعبارة أخرى من أهل البادية . ففي
الفسطاط : كان العسكر عربياً ، كما كان كذلك بالنسبة إلى
أجناد الشام والعراق ، والبصرة ، والكوفة ، والشرق عامة .

(1) Velhausen, Arab Kingoom & its Fall, P. 24

وإذا فقد لاقت كل هذه الاقطار مستعمرين أغراباً .
وهم في هذا الاستعمار ، إنما يكررون مسألة الهجرة عند
قدماء اليونانيين ، حيث ألقوا شباك استعمارهم على
الأراضي التي كانوا يحلون فيها .

وإذا كان هؤلاء الأعراب هم مادة الاسلام كما قال
عمر بن الخطاب ، فقد اعتورت تلك المادة الضعف من نواح
كثيرة : ذلك أنهم هم الذين قامت على أكتافهم هذه
الدولة المتسعة الأرجاء ، في أعوام قليلة . ولهذا الاعتبار
نفسه ، استشعروا القوة من أنفسهم ؛ وعرفوا قدر نفوذهم
وسطوتهم .

ولقد أصاب فلهوزن حيث يقول في كتابه « المملكة رأى فلهوزن
العربية وسقوطها » : وكانت المقاتلة تحتل طالما كانت
تدر عليهم الغنيمة من هذه الفتوحات المتوالية . أما الآن
وقد منع توزيع الأراضي عليهم ، فقد أصبحوا يشكون
في موقفهم . وبعد أن كانت الحكومات تعتمد على مساعدة
الجيش ، أصبح الجيش يعتمد على مساعدة الحكومة .
ومن ثم لا نعجب إذا ظن المقاتلة أنهم خدعوا من
جانب هذه الحكومة ، التي كانت الخزينة عمادها ، والتي

سلطت نفسها عليهم ، ممسكة يدها عنهم ، ولا نعجب كذلك إذا صرحوا بأن النقود التي جمعت من الضرائب ، إنما هي لهم ، وليس للحكومة فيها حق ، وأن المال مال المسلمين وليس مال الله » (١).

ومن هذا تبين النزعة الجديدة ، وهي أن العرب الشعور بالظلم أصبحوا يرون أنفسهم ، وقد استغلتهم الدولة تحت قيادة أمراءهم وساداتهم ، وانهم مع ذلك لا ينالون إلا قدراً غير يسير مما كسبوه بسيوفهم ، ومن ثم كانت العرب بوجه عام ، تبغض قريشا ، وتنظر بعين الحقد والحسد ، إلى ما كان لتلك الفئة من سلطان ونفوذ على من سواها من قبائل العرب .

تمايز الطبقات هذا إلى أنهم أحسوا بفكرة تمايز الطبقات من المهاجرين والأنصار إحساساً قوياً جداً ، بحيث رأوا هاتين الطبقتين مفضلتين على سائر العرب مع قلة حظ هؤلاء في القتال ، وعظيم بلائهم كما يقولون .

أمام هذه الروح التي بدأت تظهر في الأعراب النازلين في الأمصار ، وهي روح الشعور بأن الظلم يعتورهم . أصبحنا

(١) Velhausen pp. 34-44. فلهوزن ص ٣٤ — ٤٤

والطبرى ج ١ ص ٨٢٥٨

نرى خطر الانقسام . هذا إلى أن قریشا كانت منقسمة إلى قسمين : بنو هاشم ، وبنو أمية ، وقد بعُدا بينهما لتنافسهما على الخلافة كما قدمنا . ومما زاد الطين بلة أن عثمان كان شديد الأثرة يؤثر أقرباءه وذويه ، حتى ليخيل لنا أنه كان يريد أن يجعل الحكومة الإسلامية . عثمانية لحما ودما كما سيأتي بعد :

*

من كل هذا نستطيع أن ندرك إلى أي حد تغيرت الأحوال في هذه الدولة الناشئة : فتلك البساطة الأولى التي كانت نتيجة بساطة القائمين بها أيام أبي بكر وعمر ، ثم روح الدين الإسلامي ، وهو في جوهره يحتم البساطة التامة ، كل ذلك قد تغير ، إذ أن نزوح الأعراب من البادية قد غير هذه الحالة الساذجة ، إلى حد بعيد ، لا سيما بعد كثرة الغنائم ، والسبي ، ووفرة الأموال .

ولقد أصاب فان فلوتن حينما يتحدث في كتابه « السيادة العربية » عن أثر هذه الفتوح في نفوس العرب حيث يقول « ولم يكن بد من أن يكون ثمة أثر رجعي لهذه الفتوحات » وذلك ما حدث فعلا . وإلى القارىء ما كتبه المسعودى عن النتائج المحتومة لذلك الفتح ،

تلك العبارة التي تعتبر فريدة في بابها . وقد ظهر أثره ذلك لأول مرة في عهد عثمان بن عفان ، مما حدا بذلك المؤرخ العربي النزيه أن يقول : « ولم يكن مثل ذلك في عصر عمر بن الخطاب بل كانت جادة واضحة ، وطريقة بينة . فأين عمر عن ذكركنا ؟ وأين هو عما وصفناه ؟ (١) »

تغير

الروح المعنوية

هذا إلى أن الناس قد ظلوا مسحورين بالدعوة الشخصية لبطل الشرق ، بل مبعوث الرحمة والأصلاح الانساني محمد النبي الكامل عليه الصلاة والسلام . كما ظلوا مسحورين أيضاً بالدور الذي لعبه أبو بكر وعمر ، في فجر الدولة الإسلامية . ولكن ذلك السحر ، أخذ في الزوال شيئاً فشيئاً ، وصار التنافس على اقتناء الأموال أمراً غير مستنكر ، بعد أن كان أقصى ما يتمناه المسلم أن يموت تحت علم الجهاد ، وأن يبيت جائعاً طاوياً يتذوق مختلف الآلام الجسمية وهو شديد الاعتقاد أن الآخرة خير له من الأولى ، وأن ربه سوف يعطيه فيرضى ! . .

(١) المسعودي (مروج الذهب) ج ٤ ص ٢٥٥ (مأخوذة من

ترجمة السيادة العربية للدكتور حسن ابراهيم حسن ، والاستاذ زكي ابراهيم

ص ٢٥)

الثروة زمن عثمان

ولكى تتصور مبلغ ما وصلت إليه البلاد الإسلامية من الثروة، يكفي أن تقرأ ما ذكر المسعودى فى كتاب مروج الذهب من أن عثمان كان فى غاية الجود والكرم، والسماحة والبذخ مع أقربائه وغيرهم : نصب أقرباءه على الأمصار، واقتنى الأموال، وبنى الديار، وخلف الذهب ثم يقول : وفى أيام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الدور والضياع، منهم الزبير بن العوام : بنى داره بالبصرة وابتنى أيضاً دوراً بمصر والكوفة والأسكندرية، وما علم من دوره وضياعه، فعلوم غير مجهول إلى هذه الغاية. وبلغ ثمن ملك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلف الزبير ألف فرس، وألف عبد وأمة، وخططاً كثيرة. وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمى : ابتنى داره بالكوفة، فى الكناسة المشهورة فى هذا الوقت بدار الطلحين. وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك، وبناحية الشراة أكثر مما ذكرنا. وشيد داره بالمدينة، وبنها بالحص والاجر والساج.

أمثلة للثروة

وكذلك عبدالرحمن بن عوف الزهرى : ابتنى داره
ووسعها ، وكان على مربطه مائة فرس ، وله ألف بعير ،
وعشرة آلاف شاة من الغنم . وبلغ بعد وفاته الربع من
ماله ، أربعة وثمانين ألف دينار . وقد ذكر سعيد
ابن المسيب أن يزيد بن ثابت حين مات خلف من
الذهب والفضة ما كان يكسر بالقووس ، غير ما خلف
من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار .

وابتنى المقداد داره بالمدينة فى الموضع المعروف
بالجرف على أميال من المدينة وجعل أعلاها شرفات ، كما
جعلها محصنة الظاهر والباطن .

ومات يعلى بن منية وخلف خمسمائة ألف دينار ،
وديناً على الناس وغير ذلك .

ثم يقول المسعودى : « وهذا باب يتسع ذكره
ويكثر وصفه فيما تملك من الأموال فى أيامه . ولم يكن
مثل ذلك فى عصر عمر بن الخطاب ، بل كانت جادة
واضحة وطريقة بيّنة » . (١)

(١) المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ، ص ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥

وفى ذلك يقول فان فلو تن نقلا عن مروج الذهب
 للمسعودى : ففي مدينة الكوفة جمعت الأسرات البارزة
 مبالغ ضخمة ، مما كانت تدره عليهم الغنائم والأعطيات
 السنوية ، حتى أن كوفياً رحل إلى الحرب ومعه أكثر
 من ألف جمل لحمل حاشيته ومتاعه (١)

وكان الصحابة أنفسهم يملكون الضياع والقصور
 والثروات الطائلة . أضف إلى ذلك ما كانوا يمنحونه من
 المنح العظيمة (٢) .

ومهما يكن فى هذا القول من المبالغة فهو من غير شك
 يؤيد ما ذهبنا إليه من أن حالة الدولة الإسلامية قد تغيرت
 زمن عثمان ، وكان من جراء هذا التغيير اشتداد روح
 المعارضة فى المدينة وفى الأمصار ، تلك المعارضة التى
 أصبحت — كما يقول فلهوزن — ترى الغبن والظلم ، وقد
 تحكمت بهما قريش ، وبخاصة فى الفياء . وبلسان هؤلاء
 يتحدث شاعر من أهل الكوفة :

(١) الطبرى : ج ٢ ص ٨٠٦

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٥٣ ترجمة السيادة العربية

للدكتور حسن ابراهيم حسن والاستاذ محمد زكى ابراهيم ص ٢١ و ٢٢

يلينا من قريش كل عام أمير محدث أو مستشار
لنا نار نخوفها فنخشي وليس لهم فلا يخشون نار
هاتان هما المعارضة للثان نشأتا في العالم الإسلامي :
إحدهما في المدينة والأخرى في الأمصار . وكانت معارضة
الأمصار أكثر عنفاً من معارضة المدينة ، حيث كان صوت
المعارضة من الأنصار أقل حدة منه في المدينة إذ كان
مجرد احتجاج ، على حين كان في الأمصار يدوى ، لأن
الجند — وهم مادة الدولة — يستندون إلى الدليل الشرعي ،
وإلى مبادئ العدل والحق ، يحمل الدعوة من بينهم زعماء
لهم أثر ظاهر كما سيأتي بعد .

عوامل الثورة

عرضنا لسياسة عثمان بن عفان بصفة عامة ، والآن
يجدر بنا أن نشير إلى الأسباب المباشرة التي أثارت سخط
قريش وغيرهم من سائر العرب على عثمان ، وهي أمور
وإن لم تبد على جانب كبير من الأهمية ، إلا أنها كانت
في حقيقة الأمر ذات قيمة خطيرة في إثارة الجمهور . ومن
ذلك مثلاً :

الأسباب
المباشرة

١ - جمع الناس على مصحف واحد

فالمعروف أن القرآن كان محفوظاً في صدور الناس ، وإن كان مدوناً على الأوراق والعظام والجلود وغيرها ، إلا أنه لم يكن هناك مصحف واحد مجموع في أيام النبي ، بل كانت هنالك طبقة تعرف بالحفاظ قتل منهم عدد كبير في وقائع الردة ، وبخاصة في موقعة اليمامة التي دارت بين خالد بن الوليد ، وبني حنيفة ، ويقال إن عمر أشار على أبي بكر بجمع القرآن مخافة أن يضيع ، فعمل أبو بكر بهذه النصيحة ومن ثم أمر زيد بن ثابت ، أحد الكتاب ، بجمعه كما يقول ابن الأثير ، من الرقاع والعصب وصدور الرجال . وكان ذلك أول نسخ منظم للقرآن .

وقد ظلت الصحف عند أبي بكر ، وهي نسخة واحدة حفظت عنده مدة خلافته ، تناقلها بعده عمر ، ثم ابنته حفصة .

وقد حدث أثناء غزو العرب بلاد الترك والخزرت تحت قيادة حذيفة بن اليمان أن اختلف المسلمون في قراءة بعض الآيات : فبينما كان هذا يقرأ على رواية عبد الله بن مسعود ،

تاريخ المصحف
الشريف

إذا بأخر يقرأ على رواية شخص آخر ، وكلاهما يرجح
رأيه ويدعمه بحججه . ومن هذا ندرك كيف تعددت
المصاحف بجانب المصحف الأصلي الذي أشرنا إليه .

اختلاف الناس
في قراءته

ولقد لاحظ القائد حذيفة اختلاف الجند في قراءة
القرآن ، فأشار على عثمان عند عودته بتدوين مصحف
رسمي يقرؤه المسلمون دون غيره من مصاحف الصحابة .
فأرسل عثمان إلى السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب يطلب
منها المصحف الذي جمعت صحائفه أيام أبي بكر . ثم إنه
شكل — كما نقول الآن — لجنة مؤلفة من زيد بن ثابت
أحد الكتاب ، وعبدالله بن الزبير الصحابي وسعيد بن العاص
وغيرهم ، وأمرهم بكتابة عدة نسخ ، ناصحاً إياهم أن يكتبوا
ما يختلفون فيه من قراءة الآيات بلهجة قريش ، فدونت
المصاحف وأرسل مصحف إلى البصرة ومصحف آخر
إلى الفسطاط ، كما أرسلت مصاحف أخرى إلى أجناد
الشام والكوفة .

تأليف لجنة
للاصلاح

وكان غرض عثمان من ذلك انتشار كتب القانون
في صورة واحدة لاخلاف فيها ، ليستقيم الأمر في كافة
أنحاء الدولة ، وتلك هي نفس السياسة التي اتبعها الامبراطور

القرآن
قانون الدولة

جستينيان الرومانى إذ جمع القانون الرومانى ونسقه ونظمه ،
ثم أرسل نسخته منه إلى سائر الولايات التى كانت خاضعة
له . وفى الحق إن هذا لمن ألزم واجبات الخليفة أو القائم
بأمر الدولة أيا كان لونها ، لأن توحيد القانون فى جميع
أرجاء الدولة من شأنه أن يوحد الجهود فى تطبيقه ، بل
فى فهمه وفى الأخذ به .

ولقد كاد الأمر يقف عند هذا الحد لولا أن
عثمان أمر بأحراق مصاحف الصحابة والقضاء عليها قضاء
تاماً ، رغبة منه فى القضاء على أى اختلاف يقع بين المسلمين
فى قراءة دستور الدولة وهو القرآن .

٢ - توسيع الحرم

من الغريب حقاً أن يكون توسيع الحرم النبوى عاملاً
من عوامل إثارة الناس على عثمان فالمعروف أن المسجد
الذى بناه النبى بالمدينة كان صغيراً فى بادئ الأمر تمشياً
مع طبيعة الأشياء ، وقد أخذت أهمية ذلك المسجد تزداد
بازدياد بسطة الإسلام ، واتساع رقعته ، وكثرة عدد من
اعتنقوه من العرب . فكان طبيعياً أن يهيئ الحاكم فى المدينة

التجديد
عامل للثورة

ذلك المسجد على أساس جديد يتسع لهذا العدد الزاخر من المسلمين . ومن ثم فكر عثمان في أن يشتري الدور المجاورة للحرم . إلا أن أصحابها أبوا عليه ذلك ، فما كان منه إلا أن قرر وضع الثمن في بيت المال أمانة في عنقه لهؤلاء الملاك ، وأمر بنزع ملكية هذه الأراضى . وهذا في حد ذاته حل على جانب من الحكمة والعدل إذ روعيت المصلحة العامة ، وهو ما تسير عليه الدول في العصر الحديث .

على أن انتزاع الأراضى دون رضا أهلها وموافقتهم قد ولد في نفوسهم شيئا غير قليل من التذمر . فأنكروا على عثمان تصرفه ، بل احتجوا وتناولوا في احتجاجهم عليه ، مع أنهم لم يكونوا يستطيعون أن يرفعوا أصواتهم بالشكوى أيام عمر ، لسعة نفوذه وقوة شخصيته (١) .

٣ — تعديل في العبادة

ومن الأسباب التي أوجبت غضب المسلمين على عثمان ما أدخله من تعديلات طفيفة على العبادة فمن ذلك مثلا : أن مما يؤثر عن النبي عليه السلام ، أنه كان يصلى في موسم

(١) الطبرى : ج ١ ص ٨١١

الحج في مكان خاص ، ولكن عثمان خالف هذه السنة وأتم الصلاة في « منى » . وقد علل الخليفة ذلك ببعد الشقة . وعلى كل فقد كان ذلك التعديل مثاراً لكثير من القيل والقال ، وقد استنكره المسلمون مع أنه في نظرنا لا يعدو أن يكون تصرفاً مرناً يلائم الأحوال ، وبخاصة أن المسافة كما قرر عثمان نفسه ، كانت من الطول بحيث تجيز إتمامها في « منى » .

إيثار عثمان ذوى قرباه

ولعل ذلك الإيثار أقوى الأسباب التي ملأت صدور المسلمين حقداً وموجدة ، إذ أقدم عثمان على ما لم يقدم عليه أبو بكر وعمر : فتراه يعزل العمال الذين ولاهم عمر بمجرد توليته الخلافة : جمع الشام كلها لمعاوية وهو أموى صميم ، وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو أخوه من الرضاع . أما الكوفة فقد عزل عنها محمد بن عتبة واستعمل عليها سعيد بن العاص ، وهو أموى . وعزل عن البصرة أبا موسى الأشعري ، وولى مكانه عبد الله بن عامر

المحسوية
داه ويل

الأموى ، وكان ابن خال عثمان ، فضلا عن حداثة سنه . أما في المدينة : فقد جعل مستشاره ووزيره الأول مروان بن الحكم الأموى وكان ابن عمه (١) .

وكان فى مكة فى أول عهد عثمان ، نافع بن الحارث الخزاعى ، فعزله وولى العلاء بن الحضرمى ، وكذلك صرف سفيان بن عبد الله الثقفى عن الطائف ، وأثبت مكانه القاسم ابن ربيعة الثقفى ، وأثبت فى صنعاء واليها ، يعلى بن منية حليف بنى نوفل بن عبد مناف ، كما أقر على الجند عبد الله بن ربيعة وكان أمويا أيضاً .

يجدر بنا أن نقف وقفة يسيرة عند بعض هؤلاء الذين ولاهم عثمان الأمر فى الدولة الإسلامية : أما العرب جميعا فكانوا يبغضون قريشا بوجه عام ، وينظرون بعين الحقد والحسد إلى ما كان لتلك القبيلة من سلطان ونفوذ على من سواها من قبائل العرب (٢) . ولو كان ولى الناس قوما على جانب من التقوى والورع ، لكان ذلك داعيا لأخفات الصوت ضده ، أما أن يولى الأمر أبا سرح مثلاً ، فقد كان

من هم الأقارب
والمحاسب

(١) الدينورى ص ١٤٠

(2) Browne. A Literary History of Persia.
vol.I, pp.215-216.

من شأنه أن يزيد تبرم الأهلين به ، لأنهم كانوا يذكرون
ماضيه ، وكيف كاد ينفذ فيه حكم النبي صلى الله عليه وسلم
بالاعدام ، لولا ما كان من شفاعته عثمان له .

يقول الأستاذ برون في ذلك : إن الوليد والى الكوفة ،
قد ذهب إلى المسجد لأداء الصلاة وهو ثمل لا يكاد يعي
ما يقول (١) . نعم . ! إن عثمان وإن كان قد عزله من ولاية
الكوفة فإنه لم يحدّه حد شارب الخمر الذى أمر به الإسلام
إلا بالحاح من على بن أبى طالب ، رغم إرادة عثمان الذى
عفا عن عبد الله بن عمر ، وقد قتل الهرمزان لاشتراكه فى
تدبير قتل عمر مع أبى لؤلؤة ، ذلك الاشتراك الذى لم يقيم
عليه أى دليل . والذى من أجله طالب على بن أبى طالب
عثمان بالقصاص من عبد الله بن عمر . لكن عثمان تحمل
ديته تبعاً لمشورة عمرو بن العاص ، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً
ثم ينتقل الأستاذ برون إلى الكلام عن الوليد
ابن عقبة فيقول :

انه لم يكن يرعى شعائر الدين ، قتل الرسول أباه

(١) يذكرون أن الوليد كان يصلى بالناس الصبح وهو سكران ، فصلّى
ثلاث ركعات بدلاً من اثنتين ، فلما نبهوه الى ذلك التفت اليهم وقال : والله
لو شئتم لزدتكم صلاة !

عقب غزوة بدر الكبرى وقد أراد اغتيال النبي . وقال فيه
النبي : إنه من أهل النار .

ولم يكتف عثمان بأسناد المناصب الكبرى إلى أقربائه،
بل أخذ يتصرف في الأموال التي كانت تأتي إلى بيت المال

لتنفق في شؤون الدولة تصرفاً يخالف من سبقه « النبي تصرف عثمان
في مال الدولة

وصاحبه » وهؤلاء الثلاثة كانوا شديدي الحرص على أن
ينفق النعمان في مصالح الدولة ، ولكن عثمان تصرف تصرفاً

غريباً ، إذ نقل عبدالله بن سعد الخمس عندما غزا إفريقية (١) ،
وكذلك باع الخمس في غزوة ثانية بثمان مئتي دينار

الحكم . هذا فضلاً عما أوردناه من إجازته لقريش أن يملكوا
العقار في الأقاليم المفتوحة ، كالعراق والشام ، وما كان من

استبداله بأهلهم في الحجاز أملاً كالهم في الأمصار سواء
كان حقاً أو باطلاً .

وقصارى القول فقد سار عثمان سيرة رضى عنها
المسلمون في الشطر الأول من خلافته ، ثم لم يلبث أن أثار

السخط بالانحراف عن سياسة أبي بكر وعمر ، وكان بذلك
كما وصفه لنا صاحب أشهر مشاهير الإسلام حيث يقول :

(١) الطبرى ج ٥ ص ٤٩

« أجمع الرواة وأهل الأخبار على أن عثمان قضى الشطر الأكبر من خلافته وهو أحب إلى الناس من عمر لشدته، ورأفة عثمان ولينه، وإقبال الدنيا على الناس عهده، وتبسطهم في المعيشة، وامتلاء أيديهم من المغانم. لكن غلب عليه بنو أمية في أواخر مدته. فآثرهم على غيرهم من قريش، ووصلهم بالأموال الكثيرة، فأنحرفت عنه من أجل ذلك القلوب، ونظرت إليه قريش بغير عين الرضا، ونهض لمناقشته الحساب أهل الأمصار، وتخلل ذلك أمور خفية وجليّة، أدخلها الناس في غمار فتنة عمياء، كانت نتيجتها ضعف السلطة الشرعية، وغلبت القوة والاثرة على الملك إلى اليوم (١). »

وقد تقدم القول بأن عثمان بن عفان قد اختار ابن عمه مروان بن الحكم ليكون مستشاره ووزيره الأول. وفي الحق أن شخصية مروان بن الحكم من الشخصيات التي يصح أن تدرس دراسة منفردة، لما كان له من الأثر العميق في سير هذه الفتنة التي اهتزت من أجلها الدولة الإسلامية وهي في مستهل حياتها، فأليه وحده يرجع السبب

مروان
ابن الحكم

(١) أشهر مشاهير الاسلام لرفيق بك العظم ج ٤

في تأليب وفد مصر الذي قدم إلى عثمان يلومه في بعض أمره
كما سيأتى ذلك فيما بعد .

وقد بلغت درجة تأثير مروان في الخليفة أن عثمان
كان يبدي رأيا ويعلنه في الناس ، فاذا اجتمع به مروان
أنكره وحمله على تغيير رأيه . فما يلبث عثمان بعد ساعات
أن يعلن في الناس عكس ما كان أعلنه فيهم من قبل . وكأني
بهذا الداهية قد أدرك تمام الإدراك ما انطوت عليه نفس
عثمان من الطيبة واللين فصار يستولى على الأمر
بيده شيئا فشيئا حتى قبض في الحقيقة على ناصية الحال
من وراء الستار ، حتى ليصح القول بأنه كان الخليفة الفعلي
في الدولة الإسلامية .

أساليب

مروان بن الحكم

وقد اتخذ مروان من الأساليب الغربية ما استطاع به
أن يوغر صدر الخليفة حتى على كبار الصحابة ، فليس من
اليسير أن نفهم سر هذه التنقلات السريعة التي كان يجريها
عثمان بن عفان في إبان حكمه بين ولاية الأقاليم ، إلا أن يكون
لمروان أصبع كبير فيها . ولقد بلغت به الجرأة في بعض
الأحيان أن يوغر صدر عثمان فيقول له :

- من على الناس أمير المؤمنين . أعلى وابن عوف والزبير ؟

وهذا يدل دلالة واضحة على ما كان لمروان بن الحكم
من الاثر الظاهر في تسيير شئون الدولة ، الأمر الذي
اضطر الشعب من أجله إلى كراهية مروان ، وبالتالي كراهية
عثمان نفسه . والشعب في نظرنا معذور إذا هو رأى أمور
الدولة في يد مروان دون عثمان ؛ وليته كان يسير دقة
الأمر وهو يرفع المصلحة العامة ، ولكنه مع الأسف
كان يسيرها وفق مصالحه وأهوائه ، بحيث يصح القول
بأن عثمان — أو مروان بمعنى آخر — كان يريد أن
تكون الحكومة الإسلامية عثمانية لحماً ودماً . أو إن شئت
فقل أموية لحماً ودماً . . . !

الباب الثانى

الفتنة فى الأمصار

الفصل الأول

انتشار الفتنة

لئن ظهرت نتائج تلك الثورة في المدينة ، فقد كان رأس الفتنة في الأمصار ، تلك الأمصار التي كانت مرتعاً خصباً للتألب على عثمان ، والسخط على سياسته ، يحرك هذا الحقد في الصدور تلك العوامل التي بينها قبل . يضاف إلى ذلك هذه الحركات الثورية العنيفة التي ما فتئ العلويون يقومون بها منذ وفاة النبي ، ومآل الأمر لأبي بكر ، إلى أن جاءت سياسة عثمان ، فكانت أكبر عون على إشعال نيران الفتنة والانتفاض على عثمان نفسه .

ولقد أذكرى نيران هذه الثورة صحابي قديم ، اشتهر بأنه أول من حيا النبي بتحية الإسلام ، وبأنه رابع (أو خامس على رواية أخرى للطبري) من اعتنق هذا الدين ، واشتهر بالتقوى والورع ؛ وكان من كبار أئمة الحديث . ذلك هو أبو ذر الغفاري .

والآن نتكلم عن حال تلك الأمصار ، مصدر هذه
الفتن والقلاقل التي جرت إلى قتل الخليفة الرشيد الثالث
حتى يسهل علينا أن ندرك كيف وجدت دعوة ابن سبأ
طريقها إلى نفس أبي ذر خاصة ، ونفوس المسلمين عامة .

الفتنة في الكوفة

كان على الكوفة سعد بن أبي وقاص ، ثم عبد الله
ابن مسعود ، ثم عزل عثمان سعداً ، وولى الوليد بن عقبة كما
تقدم . وقد حدث أن قتل ابن الحيسمان الخزاعي ، وضبط
القتلة واقتصر منهم فاضطغن آباء القتلة على الوليد .

وقد عبث الوليد بمنصبه فصار له ندماء وسمار ، نذكر ولاية الوليد
منهم : أبا زيد الطائي ، وكان نصرانياً فأسلم . فبينما كان
الوليد في مجمع من هؤلاء الندماء يحتسون الخمر ، إذ اقتحم شرب الخمر
الجمهور داره ولم يكن لها باب ، وقتشوا المنزل فوجدوا
الخمر وأخرجوه من تحت سرير الوليد . يضاف إلى ذلك
أيضاً أن الخلاف قد نشب بينه وبين ابن مسعود الذي
أعلن « أن من استتر عنا بشيء لم نتبع عورته ، ولم نهتك
سترته » وكأنه بذلك قد وافق على أن الوليد كان يشرب

الخمر ، هذا إلى ما أشيع حوله من أنه ساحر يسحر
في منزله .

على أن الوليد كان محبوباً لحسن سياسته الاقتصادية
في الكوفة حتى قال النساء :

ياويلتا قد عزل الوليد وجاءنا مجوعا سعيد

ينقص في الصاع ولا يزيد فجوع الأماء والعبيد

ولما ولي سعيد بن العاص الكوفة أغضب أهل

ولاية

العراق وأقصاهم عن أرضهم ، وأعلن في طيش ونزق سعيد بن العاص

« أن السواد بستان قريش » بمعنى أنه لهم يحتلبونه كيفما

شاءوا . فلم تزد هذه السياسة الحال إلا شططاً ، وأثار

بذلك سخط الأهلين . وقد أعلن هذا السخط عن نفسه

في معارضة الأشر ، وغيره من رجالات الحكومة ،

هذه السياسة . ويظهر لنا هذا العداء واضحاً جلياً فيما رواه

صاحب نهج البلاغة (١) ، فقد ذكر أن سعيداً قال

العراق

« إن السواد بستان لقريش وبنى أمية » فقال الأشر النخعي :

بستان قريش

— وتزعم أن السواد الذي أفاء الله على المسلمين بأسيا فنا

بستان لك ولقومك ؟ فقال صاحب شرطته : أتردّ على

الأمير مقالته؟ وأغلظ له . فقال الأشتر لمن كان حوله من النخع وغيرهم من أشراف الكوفة : ألا تسمعون ؟ فوثبوا عليه بحضرة سعيد فوطئوه وطأً عنيفاً وجروا برجله . فغلظ ذلك على سعيد وأبعد سماره ، فلم يأذن لهم بعد ، فجعلوا يشتمون سعيداً في مجالسهم ، ثم تعدوا ذلك إلى سب عثمان . واجتمع إليهم ناس كثير حتى غلظ أمرهم . فكتب سعيد إلى عثمان في أمرهم . فكتب إليه أن يسيرهم إلى الشام لئلا يفسدوا أهل الكوفة . وكتب

وفد
أهل الكوفة

إلى معاوية وهو والى الشام : إن نفرأ من أهل الكوفة قد هموا بأثارة الفتنة وقد سيرتهم إليك فانهم ، فان آنست منهم رشداً فأحسن إليهم واردهم إلى بلادهم .

في
حضرة معاوية

فلما قدموا إلى معاوية (١) درس أمرهم ، وكان بينه وبينهم محاورات تصل أحياناً إلى درجة الغضب والسباب سواء من جانب معاوية أو من جانبهم . ولقد بدأهم النقاش بالتي هي أحسن : ولكنها لم تثمر فيهم . فتوعدهم شراً إذا هم

(١) كانوا الأشتر وكعب بن مالك الأرحبي والاسود بن يزيد النخعي وعلقمة بن قيس النخعي وصعصة بن صوحان العدوي وغيرهم .

عادوا إلى الترد والعصيان على أولى الأمر في الولايات
الاسلامية . ثم كتب الى عثمان :

كتابه إلى عثمان « إنه قدم عليّ قوم ليست لهم عقول ولا أديان ،
أثقلهم الإسلام ، وأضجرهم العدل ، لا يريدون الله بشيء ،
ولا يتكلمون بحجة ، إنما همهم الفتنة وأموال أهل الزمة ،
والله مبتليهم ومختبرهم . ثم فاضحهم ومخزيهم ، وليسوا
بالذين ينكون (١) أحداً إلا مع غيرهم ، فأنه سعيداً
ومن قبله عنهم ، فانهم ليسوا بأكثر من شغب أو نكير .
فلما وصل ذلك الكتاب إلى عثمان كتب إليه أن
يردهم إلى سعيد بن العاص في الكوفة فردهم . فأطلقوا
ألسنتهم في ذمه وذم معاوية وعبيهما . فكتب إلى عثمان
ليسيرهم إلى حمص ، فسيرهم إليها حيث تلقاهم عبد الرحمن
ابن خالد بن الوليد فجمعهم وأشبعهم تعنيفاً وتقريعاً مدة
شهر من الزمان أذلهم فيه ذلاً كبيراً . ثم كتب الى عثمان
يسترضيه عنهم ويسأله فيهم فأمر عثمان بردهم إلى الكوفة ،
ولكنهم أشفقوا من ذلك فبقوا في الجزيرة .

(١) نكيت من باب رميت والاسم النكاية بالكسر اذا قتلت وأثخنت
والمراد هنا وصفهم بالجبن .

وفي تلك الأثناء أخرج سعيد كثيراً من الزعماء
ورءوس أهل الكوفة فيما يليها من فارس ، فخلت الكوفة
من الرؤساء والأشراف وأهل السابقة . وكان سعيد
قد خرج إلى عثمان ، ومن ثم عادوا إلى بغيتهم وفسادهم :
إذ حدث آخر سنة ٣٤ هـ (يولييه سنة ٦٥٥ م) بينما كان
الأمراء والعمال على الحبح مع الخليفة في مكة إذا بالثورة
يندلع لهيبها على يد رجل يمني من أخص أصدقاء على
مالك بن الأشتر
ابن أبي طالب هو مالك بن الأشتر ، فقد اتفقت جماعة من
زعيم الثورة
أهل الكوفة على أن يجتمعوا خارج الكوفة ليحولوا
دون دخول واليهم سعيد بن العاص .

فلما أراد سعيد بن العاص العودة إلى الكوفة تلقوه
من « الجرعة » (١) وردوه لا يريدون دخوله عليهم أميراً .
فعاد إلى عثمان . فلم يغير من إرادة القوم وغلوا في الطلب
وتقدموا إليه أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري فأجابهم
ولكن إلى حين . . . ! (٢)

ولم يكن عزل سعيد بن العاص في نظرنا هو غاية
ما يرمى إليه هؤلاء الناقمون ، بل لعله مظهر من مظاهر ذلك

(١) الجرعة قرية خارج الكوفة (٢) فلهو زن ص ٤٤

الغليان الذي كانت تموج به هذه الأقطار . يؤيد ما ذهبنا إليه ما كان من جمع عثمان بعض صحابته في هيئة مؤتمر للشورى للشورى مؤتمراً عثمان للشورى
التيار يسير في طريق مناوآته : ذلك أن عثمان أرسل يستدعي عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومعاوية بن أبي سفيان وسعيد بن العاص — وكان بالمدينة — وعبد الله بن عامر وعمر بن العاص .

وقد تناولت هذه الجماعة المسألة ، لا من حيث الشكل فقط ، بل وصلوا إلى البحث في جوهر ذلك النزاع ، وهذا
الاتقاض . واختلف هؤلاء الناصحون — كما كان يسميهم البحث في علاج الثورة عثمان — فأما عبد الله بن عامر : فقد كان يرى أن سبب هذا الاضطراب كله إنما هو ركون الناس إلى الترف وإعطاؤهم الفرصة للتفكير في سياسة الدولة العامة . وأشار على عثمان بإعلان الجهاد من جديد ، ليشغلهم بذلك عن المطالبة بالتدخل في أمور الحكم وغيرها .

أما سعيد بن العاص : فقد رأى أن يقتل عثمان رؤساء الفتنة ، فلا يعود يسمع منهم شكاتهم ، أو يرى منهم اعوجاجاً .

ورأى عبدالله بن سعد : أن الناس أهل طمع ، وطلب
إلى عثمان أن يعطيهم حتى تعطف عليه قلوبهم .

أما عمرو بن العاص : فكان ما كرأ بعيد النظر إذ قال :
أرى أنك قدر كبت الناس بما يكرهون : فاعتزم أن تعتدل !
فأن أبيت ، فاعتزم أن تعزل ! فأن أبيت ، فاعتزم عزماً
وامش قدماً . . . !

فقال عثمان :

— ما لك قل فروك ! أهذا الجد منك ؟

فسكت عنه عمرو حتى إذا تفرق الجمع قال له :

— لا والله يا أمير المؤمنين : لأنت أعزّ على من ذلك ،
ولكني علمت أن سيبلغ الناس قول كل رجل منا ، فأردت
أن يبلغهم قولي ، فيثقوا بي ، فأقود إليك خيراً ، أو أدفع
عنك شراً . (١)

نحن نرى أن خير ما كان يقوم به عثمان في هذا
الظرف أن يعمل على تحقيق ما ارتآه عبد الله بن عامر
من فرض حرب جديدة حتى يشغل هؤلاء المشاغبين بالجهاد ،
أما موافقته على صرف سعيد بن العاص وتولية أبي موسى

(١) شرح نهج البلاغة ص ١٦٠ — ١٦١

الاشعري بدلا منه ، فكان معناه واضحا جليا في نظر عامة الكوفة ، الذين استطاعوا أن يلبسوا ضعف الخليفة من كتابه اليهم وفيه يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فقد أمّرت عليكم عزل سعيد بن العاص من اخترتم وأعفيتكم من سعيد . والله لأفرشنكم عرضي ، ولأبذلن لكم صبري ولأستصلحنكم بجهدى . فلا تدعوا شيئا أحبتموه لا يعصى الله فيه إلا سألتموه ، ولا شيئا كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه ، أنزل فيه عندما أحببتم حتى لا يكون لكم على حجة » .

والخلاصة أن الكوفة كان ينتابها شيء غير قليل من الاضطراب والقلق ، وغلب الغوغاء فيها على أهل الحلم ، وضعفت كلمة الأمراء ، وزالت من نفوس الكوفيين هيبة الحكم وتلاشت الطاعة من نفوسهم . ولعن عثمان على ملاء من الناس (١) .

(١) الطبرى ١ : ٢٩١٦ وما يتبعها من حوادث سنة ٣٢ هـ

الفتنة في البصرة

لم تكن البصرة في هذه الأحوال كما كانت الكوفة من حيث قوة اضطرابها وثورة أهلها . ولكنها كانت على كل حال من مراكز هذه الفتنة . وقد أثار هذه الأمصار رجل من صنعاء ببلاد اليمن ، دب إلى البصرة في السنة الثالثة من حكم واليها عبد الله بن عامر ، وهو رجل غريب الأطوار : ذلك هو عبد الله بن سبأ ويكنى ابن السوداء (ولعل أمه كانت جارية . !) وهو محور ذلك الاضطراب الذي ساد البصرة حيناً ، ودفع بأهلها الى الانتفاض على عثمان بن عفان والخروج عليه .

دعوة عبد الله بن سبأ

كان عبد الله بن سبأ يهودياً ، وكانت اليهودية متأصلة في نفوس أهل هذه البلاد منذ أيام الجاهلية ، فلا عجب إذا ارتوى عبد الله بن سبأ من هذه الديانة التي ظلت تلازمه بينه وبين نفسه ، حتى بعد أن أعلن إسلامه ، وآية ذلك أنه

من هو
ابن سبأ ؟

أظهر إسلامه كي يضل الناس ، ويحملهم على الشك في أمر دينهم . ومتى اعتور النفس المؤمنة الشك في دينها ، انهار ركن من أهم أركان الدين وهو الإيمان . . !

كان إسلام ابن سبأ في السنة السابعة من حكم عثمان ابن عفان ، أى سنة تسع وعشرين أو ثلاثين من

الهجرة . وقد أخذ ينتقل بعد إسلامه في الأمصار الإسلامية ينفث تعاليمه الغريبة . مبتدئاً بالحجاز ثم بالبصرة فالكوفة ، ومنها إلى الشام فمصر . وكان له في كل قطر من

وسائله

هذه الأقطار شأن يذكّر . وكان يقول : عجبتُ ممن يقول برجة المسيح ولا يقول برجة محمد . عجبا لكم أيها المسلمون : يكون فيكم أهل بيت نبيكم ، ثم يقصون عن

رجعة محمد

أمركم . . !

وقد ذهب إلى أن علياً أولى بالخلافة من أبى بكر

وعمر وعثمان . وهى دعوة شيعية صريحة فى الظاهر .

أحقية على

أما جوهرها فقلب نظام الإسلام ، وإلقاء بذور الفتنة بين

هذه الكتلة التى كانت غير متماسكة فى الجاهلية ، والتى

ألف الله بين قلوبها فى الإسلام !

وكان والى البصرة زمن عمر وفي الشطر الأول من
خلافة عثمان أبا موسى الأشعري : ثم ثار أهلها سنة ٢٩ هـ
على أبي موسى وطلبوا من عثمان عزله ! فنزل عند إرادتهم ،
وولى بدله عبد الله بن عامر كما تقدم ، وفي زمن هذا
الوالى الجديد جاء عبد الله بن سبأ إلى البصرة بعد أن أسلم
فلقية عبد الله بن عامر وسأله : — من أنت ؟

قال : رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام
ورغب في جوارك .

فقال : ما يبلغني عنك . فاخرج عني !

فخرج إلى الكوفة ، فأخرج منها وسار إلى الشام ، ثم
إلى مصر حيث وجد مدهد بعد أن نفث في العراق مانقث .

ولسنا نشك في أن الدعوة السبئية قد لاقت مرعى
أثر الدعوة
الاشتراكية السبئية
خصيماً في نفوس هؤلاء الأهلين ، الذين كانوا جنود الدولة
وعدتها ، لأنها كانت دعوة تستند إلى التعظيم من شأن
الرسول ، ورفعته من جهة ، ثم إلى هز نفوس هؤلاء الجند
بالضرب على ذلك الوتر الحساس في ذلك الوقت ، وهو
حالتهم الاقتصادية . ومتى لاحظ هؤلاء الجنود كيف
يذهب فيهم في غير وجوهه انقلبوا ينتقدون رئيس

الدولة الذى يسمح بمثل هذا ، وإذا رأوا شيوخهم يعزلون
 عن البلاد التى فتحوها كي تسلم القيادة إلى فتية ليس لهم
 من الكفاية ما كان لولاتهم من العرب ، نفرت نفوسهم ،
 وطفقوا يحصون على الوالى الجديد أعماله ، ويغلون فى إظهار
 مساوئه . ومتى بلغ الحال هذا المدى ، بدأ النقد يتخذ شكل
 التذمر ، وبدأت الألسنة تنطق بمادار فى النفوس من التهم .
 ومن ثم كانت البصرة إحدى الأمصار الهامة التى
 اندلعت بنيران الفتنة القاتلة . وكان البصريون ركنا هاما
 من الأركان التى قامت عليها الثورة ضد عثمان بن عفان
 لعزله أو لا ثم انتهت بقتله أخيراً .

الفتنة فى الشام

لشام ميزات تميزه عن بقية الأقطار الإسلامية فى
 هذه الأوقات فأن لولاية معاوية هذه البلاد أثراً كبيراً فى
 هذا التميز وذلك الاختلاف عن الأقطار الأخرى . فقد
 جمعت له هذه البلاد كلها جنداً بعد جند (١) فأصبح هو
 مدى استعداد الشام للثورة

(١) كانت الشام منقسمة إلى خمسة أجناد : حمص ، حلب ، دمشق ، بيت
 المقدس ، حماة . فأخذ معاوية يضع يده فوق الأقليم جنداً بعد جند حتى
 آل كله إليه !

الحاكم المتصرف في شؤونها. ودانت له بالطاعة .
واستطاع معاوية أن يخضع الأهليين فيه خضوعاً كانوا
يلبسون معه حسن سيرة حاكمهم وحرصه على العمل
لمنفعتهم . هذا فضلاً عن أن عرب الشام كانوا من طراز
آخر غير عرب الأمصار الأخرى ، إذ كانوا على مقدار من
الثقافة والتحضر ، مما مكّن الأمر لمعاوية في هذه البلاد .
ولقد اختلف المؤرخون في حقيقة هؤلاء الأعراب
فأما أنهم كانوا من عرب الحجاز الذين انطلقوا إلى الشام
ليكونوا إلى جانب معاوية ينصرونه ويشدون أزره ،
وإما أن يكونوا قد استوطنوا الشام قبل معاوية بزمان
تحقيق مرتضين الخضوع للنظام الروماني الذي طبع
نفوسهم على حب النظام والاستقرار ، ونفّرهم من الثورات
والانتفاض على نظم الحكم القائمة . ومهما يكن من
شيء ، فقد كان لتمدنهم أكبر الأثر في الرغبة عن الفوضى .
هذا ، ويجب ألا يعزب عن البال أهمية سياسة

معاوية بن أبي سفيان نفسه ، فإن دهاءه وحسن سياسته ،
إلى جانب مكثه الطويل في حكم الشام ، قد أفسح له
الطريق ليحكم الشام حكماً حازماً ، يكاد يكون شبه

أصل
عرب الشام

مستقل ، حتى إنه طالما كان يقول : إني لا أضع سيفي
حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني
لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت .
فقليل له كيف ذلك ؟ قال : كنت إذا مدّوها أرختها
وإذا أرخوها مددتها (١)

لذلك لا نعجب إذ رأينا بذور الفتنة لا تجد جواً
صالحاً للنمو في نفوس أهل الشام ، وبخاصة بعد أن
تعهدوا معاوية حتى استطاع أن يستأصل شأقتها ويبعد
عنه من ظهر بالمناداة بالسخط على النظام ، كابن سبأ ،
وأبي ذؤ الغفاري .

وليس معنى هذا أن الشام لم تصخ إلى الدعوة
إلى الفتنة كلياً ، إذ قد تلقت الشام هذه الدعوة وترددت
بين أجوائها ، إلا أنها لم تلق النجاح الذي لاقته في
الأمصار لما قدمنا من الأسباب .

وأول من بذر بذور الفتنة في الشام ؛ رجل صحابي
قديم اشتهر بالتقوى والورع هو أبو ذر الغفاري ، الذي
اقتن بدعوة ابن سبأ . ولقد نادى ابن سبأ بمبادئه فقطن

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ٨

إلى خطورتها معاوية ، وأسرع بأخراج ذلك الداهية ، أى
ابن سبأ ، عن الشام ، فرحل إلى مصر حيث وجد النفوس
مهيئة لا اعتناق هذه المبادئ ، والعمل على تحقيقها .

ولكى ندرك مدى الخطر الناجم عن هذه الدعوة فى
الشام يجدر بنا أن نتكلم عليها بشئ من الأسهاب فنقول :

ما هى هذه
الدعوة

كان المسلمون طبقتين متباينتين ، فأما الأولى
فارستقراطية حاكمة ترفل فى حياة رعدة هنيئة . وأما
الثانية فطبقة رأت نفسها بلا حول ولا قوة ، فاضطجعت
نفوسهم ، وحنقت هذه النفوس على هذه الحياة المترفة
التي يحياها أهل الطبقة الأولى . وزادهم حنقا أن الدستور
الاسلامى الخالد لم يترك الأمر دون نص ، بل أنه سبحانه
وتعالى لم يفضل مسلماً على مسلم إلا بالتقوى فقال (إن
أكرمكم عند الله أتقاكم) هذا فضلاً عن أنهم رأوا رجال
الدولة يسمون الفئ مال الله حتى يستطيعوا أن يستأثروا
به ليتصرفوا فيه كيفما شاءوا .

أحفظت هذه الحال أباً ذر الغفارى ، وهو ذلك
الصحابى القديم ، فقام يعلن برنامجه لأصلاح هذه
الحال ، وصادف ذلك وجود ابن السوداء فى الشام ،

فصار يقول له : يا أبا ذر ! ألا تعجب إلى معاوية يقول
المال مال الله ، ألا إن كل شيء لله كأنه يريد أن يحتجنه (١)
دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين ؟ وهذه هي نفس
الفكرة التي كانت تختلج في صدر أبي ذر الغفاري .

برنامج الإصلاح

ويتلخص ذلك البرنامج الاصلاحى فى أن يسمى
النبي مال المسلمين ، وفى أن يشفق هؤلاء الأغنياء المترفون
على أولئك الفقراء البائسين ، وأنه لن يتأتى ذلك إلا إذا
نزل الأغنياء عن هذه الثروة إلى من لا ثروة لديهم ،
متبعاً في ذلك قاعدة المساواة مستنداً في هذه الدعوة
إلى الآية الكريمة (والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم
يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم
تكنزون) .

كان أبو ذر الغفاري ينادى بوجوب عدم التملك ،
فمن كان عنده قوت يومه فليكتف به دون أن يطالب

(١) احتج المال أى ضمه واحتواه

الاشتراكية
في الاسلام

بقوت غده . وبعبارة أخرى ، كان أبو ذر أول من نادى
بالاشتراكية المتطرفة في الإسلام ، ودعا إليها هذه
الدعوة الصريحة . وقد كان حسن النية في هذه الدعوة
بعكس ابن سبأ ، الذي لم يعتنق الإسلام إلا ليضل
المسلمين ويكيد للإسلام ، فكان بذلك من أقوى العوامل
لإثارة الناس على عثمان (١) كما كان مخلصاً غير منافق في
هذه الدعوة التي ما قىء معاوية يعمل على إحباطها . ولقد
أحب معاوية بادئ ذي بدء أن يختبر صدق دعوة أبي
ذر ، فبعث إليه ألف دينار وسط الليل ، فلما كان الصبح
أرسل إليه يستردها محتجاً بأمر اختلقه ، ولكن لشدة
ما كانت دهشة معاوية حينما عاد إليه الرسول يوقن له أن
أبا ذر قد وزعها كلها . !.. !

من هنا علم معاوية أن أبا ذر جاد غير هازل في هذه
الدعوة . ومن ثم أرسل يحاجه . وقبل على سبيل
الترضية أن يسمى الفء « مال المسلمين » بدلا من تسميته
« مال الله » . ولكن أبا ذر أصر على أن ينزل الأغنياء

(١) الفاطميون في مصر للدكتور حسن إبراهيم حسن ، ص ٢٥

عن أموالهم للفقراء (١) . وهو أمر فيما نرى لم يكن من جوهر الدين الأسلامى فى شىء ، حيث لم يحظر الأسلام الثروة أو الملكية ، وإنما كل ما على المسلم فى ماله . حق للسائل والمحروم ، ولا يمكن ، مع فرض الزكاة ، أن تمشى الروح الأسلامية ضد التملك بأنواعه المختلفة ، اللهم إلا إذا قصد المالك أن يجمع الثروة جاعلاً نصب عينيه تلك الثروة غرضاً مقصوداً لذاته .

الاشتراكية
فى الاسلام

ضاق عثمان ذرعاً بأبى ذر ، فأرسل إلى معاوية ليجهزه إليه ، ففعل . فلما دخل المدينة وجد الاجتماعات تعقد ضد عثمان بن عفان ، فنادى فى المجتمعين « بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكر . » كأنه تنبأ فى ذلك بالثورة التى قضت على عثمان بن عفان (٢) .

عزم أبو ذر على أن ينفذ برنامجه كاملاً . وعشاً حاول عثمان أن يصرفه عن دعوته ، ومن ثم أمر بنفيه ، لا عقوبة له ، ولكن تخلصاً منه ومن خطره على المجتمع ،

(١) الطبرى ١ : ٢٨٥٨ و Von Kramer, I, p,339

(٢) الطبرى ١ : ٢٨٥٩

وحصراً للدعوة في دائرة ضيقة . وقد نفاه إلى الربذة (١) وهي مكان ناء عن المدينة وأجرى عليه رزقاً فيما يقولون . وفي الحديث الشريف ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن أبي ذر « رحم الله أبا ذر ! يمشی وحده . ويموت وحده ، ويبعث وحده ، . » وقد روى ابن إسحق عن عبد الله ابن مسعود قال :

« لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحد إلا امرأته (وابنته في موضع آخر) وغلامه ، فأوصاهما أن اغسلاني وكفاني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق : فأول ركب يمر بكم فقولوا هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة الطريق . وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عُمَّاراً ، فلم يرعهم إلا الجنائزة على ظهر الطريق قد كادت الأبل تطؤها . وقام إليهم الغلام وقال :

— هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ابن هشام طبعة وستنفيلد ج ٢ ص ٩٧١

ورسائل الخوازمي ص ١٣١

فأعينونا على دفنه . قال : فاستهل عبدالله ييكى وهو يقول
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تمشى وحدك
وتموت وحدك وتبعث وحدك !...

ثم نزل هو وأصحابه فواروه! (١)

موت أبى ذر

وعلى هذه الصورة مات أبو ذر سنة ٣١ هـ — ٦٥٢ م
فاختفى عن مسرح الحوادث إذ ذاك أكبر داعية اشتراكى
فى الدولة الإسلامية . إلا أن دعوته كانت قد انتشرت
من الشام إلى الحجاز ؛ فظل صوته داوياً يتردد فى نفوس
أهل الأمصار ، وبخاصة الفقراء منهم ، الذين وجدوا
فى هذه المبادئ فرصة مواتية للعمل على كسب قوتهم .
على أن الباحث المحقق ليرى فى دعوة ابن سبأ ، ثم
فى دعوة أ ، ذر ، بعض الشبه بالحركة الفارسية القديمة ،
حركة مزدك الشيعى ، الذى كاد يقلب فارس رأساً
على عقب ، لولا سهر أنوشروان وحكمته (٢) . ذلك

(١) سيرة ابن هشام طبعة وستنفلد ج ٢ ص ٩٠١

(٢) مزدك : رجل ظهر فى مدينة نيسابور فى فارس أيام قباز كسرى بلاد

الفرس

وكان مزدك يرى أن الناس يولدون متساوين فى الطبيعة ، وأن من دواعى

أن الحركتين المزدكية أولاً — ثم السبئية والغفارية
ثانياً — متفقتان من حيث وجوب نزع الثروة من
الأغنياء ، وإطلاق المساواة إلى أقصى حدودها بين
الأفراد . ولا عجب في ذلك ، فقد كان ابن سبأ من صنعاء
ترى بها واشربت نفسه بما كان فيها من نحل وميول
كما قدمنا .

اشتراكية
صريحة

الحقد بين الأفراد والطبقات تملك البعض واختصاصهم بأشياء لهم وحدهم
دون الآخرين . وقد ذهبت المزدكية الى وجوب تحريم الاختصاص بشيء
حتى النساء . !

وللحركة المزدكية الى جانب ناحتها الاقتصادية المتقدمة ، تعاليم تبث على
احترامها من الناحية الأدبية مثل تحريم الخمر وزبح الحيوان .

وقد اعتنق قباز هذا المذهب . وكان هذا فيما يظهر سياسة منه حيث وجد
طبقة كبيرة من الممولين الأغنياء ، فأراد أن يكسر شوكتهم ويحدد بذلك من
سلطانهم ونفوذهم ، على أنه لم يلبث أن تنكر لهذا المبدأ في أخريات
حياته .

المبادئ
المزدكية

وتولى بعده كسرى أنوشروان (٥٣١ — ٥٧٩ م) وكان عدواً
لمزدك وللزركين واستعمل حكمه بأن شن غارة شعواء على المزدكية وأنصارها فقتل
مزدك وكثيرين من أشياعه حتى أنه قتل منهم مائة ألف . . . !

على أن المزدكية لم تمت بموت زعيمها وكثيرين من أنصارها بل بقيت
وظهرت بعد ظهور الاسلام بشكل آخر — سواء في الدعوة السبئية أيام عثمان
أو في حركة الأسماعيلية .

الفتنة في مصر

لما لم يفلح ابن السوداء في نشر دعاية واسعة النطاق في الشام ، خرج إلى مصر لبذر بذور الفتنة ، فنشر بين الناس تعاليمه الغريبة ، تلك التعاليم التي صادفت مرعى خصيئاً في نفوس المصريين الذين لم يلبثوا أن لعبوا دوراً خطيراً في هذا الحادث الجلل : مقتل عثمان ابن عفان . . . !

ابن سبأ
في مصر

كان ابن سبأ يتصل بمن يتصل به . فيلقى في روعه أن لله ألف نبي ، وأن لكل نبي وصياً ، وأن علياً وصي النبي . ولما كان النبي خاتم الأنبياء . فأن علياً خاتم الأوصياء . ! وهذه دعوة شيعية صريحة كان ابن سبأ أول من نادى بها في الإسلام . وكثيراً ما كان يتخذ هذه الوسيلة المعروفة — فرق تسد — لنيل أغراضه وتحقيق مراميه . ولكي يفوز بأمنيته جعل يقول لأنصاره :

— ابدأوا الطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس إليكم .

وهي خطة صريحة جريئة ترمى إلى الحوض على الثورة بالتفريق ما بين الحاكم والمحكوم ، عن طريق ينطوى على خطة سياسية على الرغم من ظهورها بالمظهر الدينى . ولقد صدق فان فلوتن إذ قال :

« إن هذه الطوائف التى نشأت بين العرب فى الولايات التى فتحوها ، وعلى الأخص فى البصرة والكوفة ومصر ، كانت منطوية بادية الأمر على غرض سياسى محض رغم ظهورها بهذا المظهر الدينى (١) »

« Ces factions nées parmi les Arabes dans les pays conquis poursuivent d'abord un but, purement politique, quoique sous une apparence religieuse. »

ومما ساعد على اضطراب حبل الأمور وسرعة انتشار لهيب الثورة فيها ، انضمام ذوى الرأى فيها والجاه ، إلى صوت الشعب إذ استطاع ابن سبأ أن يجد فى محمد بن أبى بكر الصديق ومحمد بن أبى حذيفة عضداً قوياً لا إثارة الناس على عثمان ؛ كما استطاع عمرو بن العاص وعمار ابن ياسر أن يستغلا هذه الأحوال للعمل الجدى نحو قلب نظام الحكم .

(1) Van Vloten, La Domination Arabe le Chiitisme et les Croyances Messianiques, p 34.

ومما يؤسف له ، أن نرى كثيراً من الحوادث
 مشاراً لأسباب شخصية : وآية ذلك ما كان من محمد بن أبي
 إذ طلب حذيفة إلى عثمان أن يستعمله على إحدى الولايات
 مع حداثة سنه وقلة حزمه وتجربته . فرفض عثمان
 مطلبه ، فلما أراد ابن أبي حذيفة الخروج من المدينة
 أذن له عثمان في ذلك وأجرى عليه الأرزاق والعطايا ،
 فرحل إلى مصر وهو ممتلئ حنقاً ظل يشدد ، حتى حانت
 فرصة العمل ، فتنكر لعثمان وأصبح من المؤلّبين عليه .

أما السبب في حنق محمد بن أبي بكر فيقال إن حقاً
 لزمه فأخذه عثمان منه ، ولم يرع فيه إلا جادة الحق ،
 فغضب محمد بن أبي بكر لذلك ، معتقداً أن لشخصيته وبنوة
 أبي بكر . شأنًا ومنزلة ، فلما لم يعبأ عثمان بهما في سبيل
 أخذه الأمر بالحق ، تنكر له محمد بن أبي بكر وانضم إلى
 الثوار .

وليس بعيداً أن يكون لمحمد بن أبي حذيفة أثر فعال في
 إثارة محمد بن أبي بكر وحمله على الانتفاض على عثمان ،
 فقد كانا يحاربان معاً في غزوة ذات الصواري تحت أمره
 عبد الله بن أبي سرح : وقد صرحا بعيب عثمان بن عفان

واستباح دمه بحجة أنه استعمل عبد الله بن سعد : رجلاً كان رسول الله أباح دمه ، ونزع أصحاب رسول الله ، واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر . . . ! وقد أفسد المتحاربين لما نفثاه في نفوسهم من كراهية الوالى والخليفة فلما علم ذلك عبد الله بن سعد أرسل بينهما ويزجرهما (١) .
وأما ميل عمار بن ياسر إلى الثوار فأمر يصعب تحقيقه على وجه الدقة لأنه كان من المناصرين لعثمان بن عفان . غير أنه قد يكون محققاً لسبب شخصي أيضاً : هو أن خلافاً كان نشب بينه وبين عتبة بن أبى لهب (٢) تقاذفاً فيه ، فلما حكم عثمان فى الأمر ضربهما جزاءً وأفاقا وسنرى فيما بعد كيف انضم عمار بن ياسر إلى الثائرين من المصريين .

ويلعل المؤرخون انتقاض عمرو بن العاص على الخليفة بأن هذا عزله عن مصر تحت تأثير الوشائيات التى بدأ عمرو بن العاص انتقاض عثمان حكمه الإدارى وهو محوط بها من جانب مروان ابن الحكم وأضرابه . وفى الحق أنه ليعز كثيراً على قائد ماهر كعمرو بن العاص بذل النفس والنفيس فى سبيل

فتح مصر والاستيلاء عليها ، أن يرى نفسه معزولاً عن إقليمه تحت تأثير خطة مرسومة للتخلص منه بادية ذى بدء : بعزله ولا عن ولاية الخراج ، وحصر اختصاصه فى دائرة ضيقة كأمره الجيش والأمامة بالصلاة ، ثم التثني بعزله عن هذين أيضاً . . !

وفى الحق لقد خسر عثمان شخصية لم يكن فى استطاعته أن يحصل على مثلها بفقده عمرو بن العاص ، فقد أساء إلى نفسه — وإلى الدولة — بعزله رجلاً ماهراً محسناً مقتدرًا كعمرو بن العاص ، الذى لم يلبث أن كمن له العداوة والبغضاء . ومن ثم أخذ يثير الشعور ضده بالمدينة ، بل ربما لم يتخرج عن ذلك فى مصر نفسها .. ! (١)

وصفوة القول أن الأمصار كانت تنوء بأحمال ثقيلة ، لم يكن بد من إزاحتها ، والعمل على التخلص منها ، ومن ثم بدأ الدور الخطير من الثورة وهو دور العمل .. !!

الفصل الثانى

دور العمل

١- تطور الفتنة

اتفقت كلمة الثوار على الشخوص إلى المدينة في وقت واحد ، وتوالت الرسائل بينهم ، واتفقوا على أن يخرجوا في غيبة العمال في موسم الحج ، فلما اقترب موسم الحج عام ٣٥ هـ خرج من مصر ستمائة ، ومن الكوفة نحو مائتين اتفاق الثوار وخرج من البصرة نحو ستمائة . وبذلك كانت أغلبية هؤلاء من المصريين مما دعا بعض المؤرخين إلى نسبة قتل الخليفة عثمان إلى المصريين نظراً لكثرة عددهم .

خرجت هذه الجموع في وقت واحد، وتجمعت في
 مكان واحد في الحجاز، وأرادت أن تصل إلى المدينة،
 فلما اقتربوا منها خلفوا معظم الجيش بعيداً، ومن ثم تقدم
 نفر من كل فريق ونزل ضاحية من ضواحي المدينة: فنزل
 أهل الكوفة «الأعوص» ونزل أهل البصرة «ذاخشب» (١)
 — إحدى ضواحي المدينة — ونزل أهل مصر «بذي المروة».
 ولم يكن كل هؤلاء متفقين على كلمة واحدة إزاء من
 يرشحونه للخلافة، بل إن كلا منهم كان له هوى في شخص
 معين إذا ما عزل عثمان. ونحن نقول «إذا عزل» لأن
 الثوار أنفسهم لم يكن يدور بخلد هم قتل الخليفة، إنما كان
 جل همهم التخلص من حكمه والارتياح إلى حكم رجل
 آخر. وكان ذلك الرجل في نظر أهل البصرة هو طلحة،
 وفي نظر أهل الكوفة هو الزبير، وأما المصريون فلم يكن
 هواهم في هذا أو ذاك. وإنما كانوا يرمون إلى تنصيب
 علي للخلافة نظراً لتشيعهم العميق من جهة؛ ولما تلقوه

اختلاف
 الأهواء

«١» شرح نهج البلاغة ص ١٦٢: الأعوص بفتح الواو والصاد المهملة
 موضع قرب المدينة جاء ذكره في المغازي وهي على أميال من المدينة يسيرة
 «ياقوت ص ٢٩٣»

من تعاليم دعاة الشيعة من جهة أخرى (١) .

ولما نزل القوم ذا خشب — إحدى ضواحي المدينة —
كتبوا إلى الخليفة الكتاب التالي يدعونه فيه إلى التوبة :

نصيحة الثوار
لعثمان

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فاعلم أن الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فالله الله ثم الله الله ، فانك
على دنيا فاستم إليها معها آخرة . ولا تلبس نصيبك من
الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا . واعلم إنا والله لله نغضب
وفي الله نرضى . وإنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى
تتينا منك توبة مصرحة ، أو ضلالة مجلحة مبلحة . فهذه
مقاتلتنا لك ، وقضيتنا إليك ، والله عذيرنا والسلام (٢) » .
إزاء هذه الرسالة ، جمع عثمان بعض أصحابه وأهل
بيته ، وعرض عليهم الأمر ، وطلب منهم إبداء الرأي فيما
هو بصدده ، فأشار فريق أن يرسل في طلب علي بن أبي طالب
ليردم عنه ، وأشار مروان بن الحكم أن يعطيهم ما سألوه ،
معللاً الأمر أنهم بغوا عليه ولا عهد لهم .

استغاثته بعلي

وقد اتبع عثمان الرأي الأول ، إذ أرسل إلى عليّ
وخاطبه في الأمر ، وطلب إليه أن يردم عنه ، واعداً أن

« (١) الطبري ١ : ٢٩٥٥ « (٢) الطبري ١ : ٢٩٨٦ »

يعطيهم الحق من نفسه ومن غيره ، حتى لو كان في ذلك
سفك دمه ، فقال له علي :

— الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك . . ! وإني
لا أرى قوماً لا يرضون إلا بالرضا ، وقد كنت أعطيتهم
موقف على في قدمتهم الأولى لترجعن عن جميع ما نعموا ؛ فرددتهم
عنك ثم لم تف لهم بشيء من ذلك . فقال : نعم ! فأعطهم .
فوالله لأفين لهم .

فخرج علي إلى الناس وقال لهم :

— أيها الناس ! إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه .
إن عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره .
وراجع عن جميع ما تكرهون . فقبلوا منه ووكدوا
عليه .

فلما قبل الناس من علي مقالته ، رجع إلى عثمان
وأخبره الخبر . فقال عثمان :

— إضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة ؛ فأني
لا أقدر أن أرد ما كرهوا في يوم واحد .
فقال له علي :

— ماحضر بالمدينة فلا أجل فيه . وما غاب فأجله
وصول أمرك !... !
قال عثمان :

— نعم ! ولكن أجلتى فيما بالمدينة ثلاثة أيام .
ووافق على ، ووافق الناس معه ، على هذا الأجل ،
بعد أن أخذ على عثمان العهد والمواثيق أمام شهود من
وجوه المهاجرين والأنصار ، وبذلك كف عنه المسلمون
ورجعوا حتى ينفي لهم بما وعد .

ولكن الأيام الثلاثة مضت وهو على حاله ، لم يغير
شيئاً مما كرهوا ، ولم يعزل عاملاً ثار به الناس (١) . هذا
فضلاً عن أنه كان يستعد حربياً معتمداً على رقيق الخمس .
وهنا خرج عمرو بن حزم الأنصارى (٢) حتى أتى
المصريين وهم فى ذى خشب وأخبرهم الخبر . وقد كادت
ثورة القوم تهدأ بهذا إذ اتفقوا على إمهال عثمان ثلاثة أيام
كما قدمنا ، لولا أن حدث حادث هو فى نظرنا أول الشرر
الذى تطايرت منه نيران الثورة . ذلك أنه بينما كان

(١) فلهو زن ص ٤٧

(٢) الطبرى ١ ص ٢٩٨٩

الثائرون من المصريين قافلين في طريقهم إلى مصر ، إذا بهم يسرعون إلى عثمان لمناقشته الحساب في أمر ذي بال : فقد حدث أن ضبطوا غلاماً من غلمان عثمان يحمل خطاباً مرسلًا برسم عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، عامل عثمان على مصر ، يأمره فيه بتعذيب الوفد . وهذا نصه بعد الديباجة :

ضبط
خطاب سري

« أما بعد ! فإذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس فأجلده مائة جلدة ، واحلق رأسه ولحيته ، وأطل حبسه حتى يأتيك أمرى . وعمر بن الحمق فافعل به مثل ذلك ، وسودان بن حمران مثل ذلك ، وعروة بن النباع مثل ذلك . » (١)

فلما عرض القوم هذا الخطاب على عثمان قال : ما فعلت ، ولا علم لى بما تقولون . . . !
قالوا : بريدك على جملك ، وكتابك عليه خاتمك . . . !!
قال : أما الجمل فمسرور وقد يشبه الخط الخط ، وأما الخاتم فانتقش عليه !

(١) ذكره المدائني وابن الكلبي والواقدي والطبري

أقالو : فانا لا نعجل وإن كنا قد اتهمناك . فاعزل
عنا عمالك الفساق ، واستعمل علينا من لا يهتم على دمائنا
وأموالنا ، واردد علينا مظلماًنا .

فقال عثمان مغضباً : ما أراني إذاً في شيء إن كنت
أستعمل من هو يقيم ، وأعزل من كرهتم . . . الأمر
أمركم . . . !!

قالوا : والله لتفعلن أو لتعزلن أو لتقتلن ، فانظر
نفسك أو دع ، ولكن عثمان أبى على الثوار ما عرضوا .
فحاصروه أربعين يوماً ، دعا أثناءها عثمان الأشر بن
مالك ، الذى أكد مطالب الثوار على النحو الذى حصار عثمان
عرضوه . غير أن عثمان مع ذلك لم يرض أن يخلع قيصاً ٤٠ يوماً
قصه الله إياه كما كان يقول .

ولما علم عثمان بمسألة القتل التى أثارها الثوار فى حالة
عدم إجابتهم إلى ما طلبوه قال : وأما أن تقتلوني ،
فوالله لئن قتلتموني لا تتحابون من بعدى أبداً ، ولا
تصلون بعدى أبداً ، ولا تقاتلون بعدى عدواً ، جميعاً
أبداً ، . . . ! (١)

(١) الطبرى طبعة دى غوية . ص ٢٩٩٠

٢ — القتل

عند هذا قام الأشر ، ومكث أياماً مع الثوار . ثم جاء رويجل كأنه ذئب ، فأطل من باب ثم رجع . وجاء محمد بن أبي بكر وثلاثة عشر حتى انتهى إلى عثمان ، فأخذ بلحيته فمزها ثم قال غاضباً :

— ما أغنى عنك معاوية : ما أغنى عنك ابن عامر !
ما أغنت عنك كتبك !! ..

قال عثمان :

— أرسل لحيتي يا ابن أخي ! ، أرسل لحيتي .. !
ووقعت الفجيعة .

ولا بد لنا أن نتحدث قليلاً عن موقف علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، بعد أن رأينا منه جهداً في حمل عثمان على إرضاء الشعب الإسلامي فنقول : إنه إزاء هذا التسويف من جانب عثمان خرج علي من المدينة إلى خيبر ، فأرسل عثمان في طلبه متمثلاً بقول الشاعر :

موقف علي
من الفاجعة

فَأَنْ كُنْتُ مَا كُولا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ
وإلا فأدركني ولما أُمزق

ولم ير عليّ أن يتقاعد عن نصرته الخليفة مرة أخرى
فأقبل إلى المدينة يتدبر الأمر ، فألقى الناس قد شددوا
الحصار على عثمان حتى منعوه الماء ، وقتلوا من تحدّثه
نفسه أن يحمل إلى داره شيئاً منه ، وطفق يسرد على
الشوار آداب الثورة — إذ أصبح هذا التعبير — ذا كراً لهم
أن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقى . ولكن محاولته
ذهبت عبثاً . فلم ير إلا أن يرحل ، ورمى بعلمته في
الدار ، دليلاً على أنه قام بواجبه حينئذ ، وبهذا خلا الجو
للشوار خصوصاً أن طلحة والزبير كانا قد لزمّا داريهما
كذلك .

ولما اشتد الحصار على عثمان لم يرَ بداً من الأشراف
من منزله على الشوار . ولشد ما كانت دهشته حينما قرأهم
السلام فلم يرد عليه أحد . . عند هذا قال :
— أنشدكم بالله ! هل تعلمون أني اشتريت بئر رومة

من مالى ، يستعذب بها ، فجعلت رشائى بها كرشاء رجل
من المسلمين . . ؟

قالوا : نعم .

قال : فما يمنعنى أن أشرب منها ؟ ثم قال : أنشدكم الله
هل علمتم أنى اشتريت كذا وكذا من الأرض فزدته فى
المسجد ؟ قالوا نعم .

قال : هل علمتم أحداً من الناس منع الصلاة فيه قبلى ؟
ثم أخذ يسرد لهم أموراً أخرى رغبة منه فى تلطيف
ثورتهم الحادة ، ولكن الجمهور كان قد وصل إلى درجة
كبيرة من الحقد على عثمان مما ملأ صدورهم حقناً ،
فصدوا عن الاستماع إلى ما كان يذكره لهم الخليفة .

حاولته عبثاً
إقناع الثوار

ولما كانت القوة العسكرية التى بجانب عثمان غير
كافية للضرب على أيدى الثوار فى هذه المحنة ، فقد
أرسل الكتب إلى الحجاز ، يستنصر أهله ، كما أرسل إلى
الأمصار كتباً بهذا المعنى . فكتب الى أهل الشام باسم
معاوية الكتاب التالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ! أما بعد ، فإن أهل المدينة

قد كفروا وأخلفوا الطاعة ، ونكثوا البيعة ، فابعث إلى
 من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول» (١)
 ولكن معاوية لم يسرع بنجدة الخليفة ، إما لأنه كان
 يميل إلى أن يترك الأمر دون أن يشغل به أهل الشام ،
 وإما لأنه كان ينظر إلى الحوادث نظر من يرقب الفرص
 لاقتناصها لصالحه . على أنه فيما نرى لم يكن يتطلع في
 هذه الآونة إلى فكرة الخلافة ، ولم يعمل إلى الجلوس على
 كرسيها . ولكنه ! فيما نرى ، كان يطمع في أن يشتد
 طلب عثمان إياه ، فيمده في اللحظة الأخيرة ، وبذلك
 يحمله على ممرقة قدره وقدر الجميل الذي يسديه إليه . أما
 الثوار فقد أرسلوا بدورهم إلى أهل مصر كتابا حثوهم فيه
 على المجيء إليهم قائلين : فنشد الله ، من يقرأ كتابنا من
 بقية أصحاب رسول الله والتابعين بأحسان ، إلا أقبل
 علينا ، وأخذ الحق لنا وأعطانا . فأقبلوا علينا إن كنتم
 تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وأقيموا الحق على المنهاج
 الواضح الذي فارقم عليه نبيكم ، وفارقكم عليه الخلفاء (٢)

موقف
 معاوية

(١) الطبرى ١ : ٢٩٨٥

(٢) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ٣٢

٣ - الفاجعة

ولقد خاف المحاصرون أن تأتي الأمداد إلى عثمان من أهل الحجاز ومن الشام وغيرهما ممن رغبوا في مساعدته، بعد ما ناشدهم الله في أمره ، ولذلك نراهم يسرعون بالدور الخطير في هذه الفاجعة العنيفة .

ذلك أن محمد بن أبي بكر تسور ، ومعه رجلان ، من دار رجل من الأنصار ، حتى دخلوا على عثمان . ولم يكن معه إلا امرأته . فدخل عليه محمد بن أبي بكر ، فصرعه ، وقعد على صدره ، وأخذ بلحيته وعنقه ، مستصغراً شأن ابن عامر ومعاوية وابن أبي سرح . ولكن عثمان ذكّر ابن أبي بكر بوالده ، فتراخت يد محمد وقام عنه . فلما خرج ، دعا عثمان بوضوء فتوضأ (١) وأخذ مصحفاً فوضعه في حجره ليتحرم به . وفي هذه الأثناء رأى المصريون أنهم لا يستطيعون أن ينفذوا إلى المنزل فجاءوا بنار فأحرقوا الباب والسقيفة ، حتى إذا احترق الباب خرت السقيفة عليه . عند هذا ثار أهل الدار ، وعثمان يصلي ، حتى منعواهم

(1) Welhausen, The Arab Kingdom & its Fall.

(Translated from German) p. 49.

الدخول . ولكن الثوار تمكنوا مع ذلك من النفاذ إلى
الدار ، حيث دخل على عثمان رجل من أهل الكوفة بمشقص
في يده ، فوجأ بها (١) منكبه مما يلي الترقوة . فأدماه ، ونضح
الدم على المصحف . . !
الدم على
المصحف الشريف

وجاء آخر ، فضربه برجله ، ثم تتابع ستة آخرون على
الخليفة ، واحداً بعد واحد ، فلما دخل محمد بن أبي بكر
كان عثمان قد أفاق من إغماء شديد . فلما أبصره صاح به
محمد بن أبي بكر :

— أى نعثل !.. ! (٢) غيَّرت وبدَّلت وفعلت !... !
ثم دخل رجل من أهل مصر ، فأخذ بلحيته فتف
منها خصلة ، وسلَّ سيفه وعلاه به ، فتلقيه عثمان بيده قطع يد عثمان
فقطعها ، فصاح عثمان :

إنها والله أول يد خطت المفصل وكتبت القرآن...!!
بعد هذا ، دخل رجل قصير أزرق ، ومعه جزر من
حديد ، فمشى إليه فقال :

(١) المشقص بكسر الميم : سهم فيه نصل عريض .
(وجأته : إذا ضربته بسكين ونحوه في أى موضع . والاسم الوجاء)
(٢) نعثل اسم رجل قبلى طويل اللحية كان بالمدينة تشبها لهذا بهذا
في طول اللحية .

— على أى ملة يا نعثل . . ؟ ؟

فقال عثمان : لست بنعثل ، ولكنى عثمان بن عفان ،
وأما على ملة إبراهيم حنيفا ، وما أنا من المشركين .

فقال له الرجل : كذبت . . . ! وضربه بالجزر على
صدغه الأيسر ، فغسله الدم وخرَّ على وجهه . وحالت

مروءة الزوجة زوجته . نائلة بنت الفرافصة ، بينه وبينه — وكانت جسيمة —
كما ألقت بنت شيبية نفسها عليه (١) .

ودخل رجل من أهل مصر ومعه سيف مصلت وقال :
— والله لا قطعنَّ أنفه . . !

فعاودت الزوجة شهادتها ، وتحملت هى الضربة التى
قطعت أناملها . . !

وفى الحق ، لقد أظهرت هذه الزوجة من حسن
البلاء ورباطة الجأش ما يجعلها فى مصاف الشجعان
الذين يذكركم التاريخ بمداد من الفضل والفخر . فقد
وقفت تحول دون تقدم القتلة ، ودعت « رباح » غلام
عثمان ، وطلبت إليه أن يعينها ، فقتل بسيفه من قطع
أناملها . ثم لم يلبث أن دخل رجل (هو كنانة بن بشر

(١) الامامة والسياسة ص ٤٠

التجبي) فوضع ذبابة السيف فى بطن عثمان ، فأمسكت نائلة السيف فخر أصابعها ، ومضى السيف فى بطن الخليفة فقتله . (١) وهنا خرجت الزوجة الباسلة وهى تصيح ، وخرج القوم هارين من حيث دخلوا فلم يسمع صوت نائلة لما كان فى الدار من الأصوات والجلبة . ومع هذا ، فقد أشرفت على الناس ، وأعلنت قتل الخليفة وسط تأثر عميق وحزن مفجع .!!

وهنا دخل الحسن والحسين ومن كان معهما بالباب الحسن والحسين فوجدوا عثمان مقتولا ممثلاً به ، فأكبوا عليه يبكون ثم خرجوا ، فدخل الناس فوجدوه على هذه الصورة الدامية المفجعة ، تجرى الدماء من جثمانه الهامد الطاهر . . . !
وسرعان ما طير الخبر إلى على وطلحة والزبير (٢) وسعد بن أبى وقاص ومن كان بالمدينة ، وقد أسرع هؤلاء إلى دار عثمان وهم مذهولون مشدوهون . فلما دخلوا عليه بكوه حتى قيل إن علياً غشى عليه ، فلما أفاق

(١) الطبرى (طبعة دى غوية) ١ : ٣٠٢٠

(٢) ويقال ان الزبير لم يلحق بمقتله فخرج قبله (الطبرى) ٣٠١١

علي بن أبي طالب عنف ابنه — وكان قد أرسلهما لحمايته — تعنيفاً شديداً
يكي ويلطم ولديه لقتله وهما على الباب . ولطمهما بيده ، كما شتم محمد بن
طلحة ولعن عبد الله بن الزبير (١) مما يدل على أن علياً
لم يكن يتردد في مساعدة الخليفة (٢) ، وإطفاء نار الثورة ،
على عكس ما ذهب إليه كثير من المستشرقين أمثال
الاستاذ نكلسون (٣) وفلهوزن الذي يقول :

« إن علياً وطلحة والزبير لم يؤدوا ما عليهم من واجب
نحو إطفاء هذه النيران التي اندلعت لحيثها حول عثمان .
وعذرهم في هذا أنهم لا يستطيعون مد الخليفة بمساعدة
لأنهم اقتصروا على محاولة الاحتفاظ بالمظاهر... ! ثم يقول:
والحقيقة أنهم لم يبذلوا أي جهد ليقاف الحوادث ، أملاً
في أن تتمخض هذه الحوادث عن تحقيق مآرب شخصية
لمصالحهم » (٤)

رأى خاطئاً
للمستشرقين

(١) الفخرى : الأدب السلطانية ص ٩٤

(2) & (3) Nicholson, A Literary History of the
Arabs, p. 191.

(4) Welhäusen, The Arab Kingdom & its Fall.
(Translated from German) p. 49.

وهكذا لقي الخليفة حتفه على الصورة التي قدمنا .
وكان قتله في يوم الجمعة ١٨ ذى الحجة عام ٣٥ هـ ،
الموافق ١٧ يونيه سنة ٦٥٦ م فيكون عمره حين قتل بين
الثانية والثمانين والتسعين .

آخر خطبة لعثمان رضى الله عنه

وكانت آخر خطبة لعثمان هي :

« أما بعد ، فإن الله عز وجل ، إنما أعطاكم الدنيا
لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركنوا إليها . إن
الدنيا تفتى والآخرة تبقى . فلا تبطرنكم الفانية ، ولا
تشغلنكم عن الباقية . فأثروا ما يبقى على ما يفنى . فإن
الدنيا منقطعة ؛ وإن المصير إلى الله . اتقوا الله عز وجل ،
فإن تقواه جنة (أى وقاية) من بأسه ووسيلة عنده .
واحذروا من الله الغير . والزموا جماعتكم : لا تصيروا
أحزاباً . واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً . » (١)

(١) الطبرى (طبعة دى غويه) ١ : ٨ : ٣٠٠

رثاء عثمان بن عفان

ولئن كان هذا الخليفة الطيب القلب قد ذهب ضحية
غدر الثوار فان الأمة الإسلامية لم تعدم من رثاء رثاء
مؤثراً . ومن هؤلاء حسان بن ثابت وقد رثاه فقال :

أتركتهم غزو الدروب وراءكم
وغزوتونا عند قبر محمد
فلبئس هدى المسلمين هديتم[ُ]
ولبئس أمر الفاجر المتعتمد

وله أيضا :

إن تُمس دار بن أروى منه خاوية
باب صريع وباب محرق خرب
فقد يصادف باغى الخير حاجته
فيها ويهذى إليها الذكر والحسب
يأيها الناس أبدوا ذات أنفسكم
لا يستوى الصدق عند الله والكذب
وقال أحد شعراء ذلك العصر :
لعمري أييك فلا تجزعن
لقد ذهب الخير إلا قليلا

لقد سفه الناس في دينهم
 وخليّ ابن عفان شرا طويلا
 أعاذل كل امرئ هالك
 فسيري إلى الله سيرا جميلا

ومن أروع ما ذكر في هذا الصدد خطبة ابنته عائشة
 بعد قتله حيث قالت بعد أن حمدت الله وأثنت عليه .
 « يا ثارات عثمان ! إنا لله وإنا إليه راجعون . أفنيت نفسه ،
 وطلّ دمه في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنع
 من دفنه . اللهم ولو يشاء لا تمتنع ووجد من الله عز وجل
 حاكما ، ومن المسلمين ناصرا ، ومن المهاجرين شاهدا ، حتى
 يفيء إلى الحق من صدر عنه . أو تطيح هامات ، وتخاض دماء ،
 ولكن استوحش مما أنستم به ، واستوخم ما استمر أتموه ؛
 يا من استحل حرم الله ورسوله واستباح حماه !
 لقد كره عثمان ما أقدمتم عليه ولقد نقمتم عليه أقل مما
 أتيتم إليه . فراجع فلم تراجعوه . واستقال ولم تقيلوه .
 رحمة الله عليك يا أبتاه ؟ احتسبت نفسك ، وصبرت

ابنته عائشة
 ترثيه

لأمر ربك حتى لحقت به . وهؤلاء الآن قد ظهر منهم
تراوض الباطل وكوامن الأحقاد . »

ثم أخذت تستعرض مقارنة بين شدة عمر بن الخطاب
وطيبة أبيها مندة بالثوار في خطبة طويلة مليئة بالحزن
والتعنيف الشديد (١) .

فليتصور القارئ إذا مبلغ ما استجمعت السيدة عائشة
من شجاعة نادرة المثال حتى لترى الجثة الطاهرة أمامها
ينضح منها الدم ، ومع ذلك فهي تقف متمالكة أعصابها
في هذا الظرف الدقيق ، لترثيه بهذه العبارة البليغة المؤثرة !
والحق إن موقف هذه السيدة ليدعو إلى الأكبار
والأعجاب ، فليس كثير من النساء من يحتملن هذه
الصدمة المفاجئة دون أن يأخذهن الاضطراب والجزع ،
أما عائشة فقد وقفت ترثي في عثمان الخليفة المظلوم ،
وترثي فيه الوالد والضحية . . !

(١) أشهر مشاهير الاسلام ج ٤ ص ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢٥

خطبة نائلة بنت الفرافصة

كذلك قامت زوجته فرثته وسط جموع المسلمين .
وكانت بهذه السيدة الجليلة تقف موقف البطولة الخالدة
حين تقول لمستمعها : معاشر المؤمنة وأهل الملة !
لا تستكثروا مقامي ، ولا تستكثروا كلامي ! فاني حرّى
عبرى (١) . رزئت جليلا ، وتذوقت ثكلا من عثمان بن
عفان ، ثالث الأركان من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، له الفضل عند تراجع الناس في الشورى يوم
الأرشاد ، فكان الطيب المرتضى المختار ، حتى لم يتقدمه
متقدم ، ولم يشك في فضله متأثم ، . . فكان واحداً غير
مدافع ، وخيرتهم غير منازع ، لا ينكر له حسن الغناء ،
ولا عنه سماح النعماء . إذ وصل أجنحة المسلمين حين
نهضوا إلى رءوس أئمة الكفر حيث ركضوا . . . ثم
تقول :

فله هو ! حين فقدتم سطوته وأمتم بطشته ، رأيتم أن
الطرق قد انشعبت لكم ، والسبل قد اتصلت بكم .

« ١ » حرى أى عطشى والعبرى هى التى تكثر من ترديد البكاء فى صدرها

ظنتم أن الله يصلح على المفسدين ، فعدوتم عدوة
الأعداء وشددتم شدة السفهاء على التقى ، الخفيف بكتاب
الله عز وجل لساناً ، الثقيل عند الله ميزاناً ، فسفكتم دمه
وانتهكتم حرمة ، واستحللتم منه الحرم الأربع : حرمة
الأسلام ، وحرمة الخلافة ، وحرمة الشهر الحرام .
وحرمة البلد الحرام ... !

فليعلمن الذين سعوا في أمره ، ودبوا في قتله ،
ومنعونا من دفنه اللهم إن بئس للظالمين بدلاً ، وإنهم شر
مكاناً وأضعف جنداً ... ولتذكرن بعدها عثمان ولا
عثمان ... !!

هيئات والله ما مثله بموجود ، ولا مثل فعله بمعدود !

٤ - خاتمة القول في عثمان بن عفان

وإذا كان لنا أن ندلى برأى في قتل هذا الخليفة ، فأنا
لا نتردد في أن نقر باقتراء فريق من المسلمين ، وعدوانهم
عليه ، حتى فقدوا شعورهم فأحلوا ، وسط شهوتهم العمياء
ما حرمة الله من سفك دماء المسلمين ، بله سفك دم
الخليفة ... ! ثم قتله ... ثم التمثيل به ... ! ثم قسوتهم في

دفنه ...!! ذلك أنهم لم يكتفوا باقتراف تلك الجريمة المنكرة ، بل إنهم زادوا الأمر سوءاً فلم يسمحوا له أن يدفن في جنازة تليق به وبمقامه الجليل ، ولذا فإن جسده حملت ليلاً .. ولم يقف الأمر عند هذا الحد ! بل إنهم لم يسمحوا أن تدفن في مقبرة المسلمين ...!! وأبوا عليه إلا أن يدفن في مقبرة مجاورة لمقابر اليهود وسط مظاهر الأيذاء والتنكيل فرموا الجثة بالشتائم ورجموها بالأحجار زيادة في التنكيل والنecش محمول على الأعناق ... (١)

التنكيل به
حتى بعد الوفاة

على أن المؤرخ لا يستطيع أن يخلى عثمان نفسه من المسؤولية في هذه الفتنة . فسياسته وضعفه ولينه من الأمور التي أحفظت عليه الشعب ، وجرت عليه هذه الثورة . هذا فضلاً عن أنه كان يحذر به أن يفي بما وعد المسلمين عندما أتاه على ورد عنه الثوار ، وقد لا نكون مبالغين إذا قلنا إنه كان من الواجب عليه أن يتخلى عن منصبه طالما رأى بعينه أن القوم جادون في ثورتهم ، وأن الجيش ضده ، وأنه كالميت بين يدي الغاسل كما يقولون .. كذلك كان على عثمان أيضاً أن يتخذ موقفاً أكثر حزمًا من

الموقف الذى شهدناه عند ما أظهر له المصريون ذلك الكتاب الذى أمهر بخاتمه ! والذى لا يبعد مطلقاً أن يكون مروان بن الحكم نفسه قد افعله إلى عبد الله بن أبي سرح . فلو أنه قام بتشكيل لجنة تحقق مسألة الكتاب وكاتبه لقطع على الثوار المصريين حجتهم فى الرجوع والانتقاض عليه . بل لو أنه أظهر من الشك فى مروان ما يطمئن إليه هؤلاء الثوار لسكنت ثأرتهم من هذه الناحية . وكان على عثمان أيضاً أن يناقش الحساب ذلك الغلام الذى قيل إن المصريين ضبطوا معه الخطاب المشار إليه ، وفى الاهتمام الجدى بهذه المسألة ، ما يمكن عثمان من التخلص من إتهام المصريين إياه بكتابة هذا الكتاب ، أو اتهامه بالتستر على مروان بن الحكم الذى يظن ، على أبسط الفروض ، أنه هو الذى مهر الكتاب بالخاتم .

ويمكننا القول أيضاً بأن انقياد عثمان إلى مروان بن الحكم ، وتسلب هذا على فكر الخليفة تسلطاً كان من شأنه أن أثار الموجدة بين نفوس الشعب ، كان هو أيضاً من الأسباب التى تؤخذ على عثمان ، والتى تبعد أن تكون من مظاهر الشورى ، وإنما هى ضرب من ضروب الضعف والأتووقراطية .

ولا شك أن أكبر الأثر في إثارة المصريين إنما يرجع إلى تعاليم الدعاة الأقوياء أمثال ابن سبأ ، وأبي ذر وعمار بن ياسر وغيرهم من المؤلّين على عثمان ، وإلى سخط القواد ذوى السطوة والشكيمة ، أمثال عمرو بن العاص ومحمد بن أبى بكر ، ومحمد بن أبى حذيفة على نحو ما فصلناه .

ومهما يكن من شيء فقد كانت هذه الثورة هى المنفذ الطبيعى أمام شعب ساخط رأى دستور الدولة فى يد أناس يتعصبون لذوى قرباهم من سائر عباد الله المسلمين ، وما هذه الثورة إلا النتيجة الكيميائية لجملة مواد كانت فوق بوتقة ما لبثت أن تفاعلت كلها بعضها مع بعض وتمخضت عن قتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .

آثار
قتل الخليفة

على أن فتك المسلمين بخليفتهم على هذه الصورة قد ذهب بما كان للخلافة من روعة وجلال ، وهتك ما كان لها من حرمة واحترام ، كما أزال عن المدينة قيمتها السياسية ، إذ أحس أهل الأمصار أنهم مصدر القوة المادية ،

وشعروا أن بيدهم الأمر وهم على كل شيء قادرون... !
وبقيت المدينة مرتد الأثرياء واللاهين ، ومحط المغنيات ،
والمغنين ، ومن على شاكلة هؤلاء وأولئك من طلاب
الله والترف .

أما الحجاز نفسه فقد بدأ هو أيضاً يفقد قيمته
المادية ، إذ رحلت عنه أكثر أهل القبائل إلى الأمصار
لما استشعروه فيها من الجاه والقوة .

ولسنا نشك أخيراً أنه كان من أثر مقتل الخليفة
عثمان بن عفان أن فتح باب الحرب الأهلية على مصراعيه
دون أن يغلق ، كما أصبحت الكلمة النافذة في يد هؤلاء
الشوار مما كان له أثر بعيد في التاريخ الإسلامى فيما
بعد (١) إذ أصبح نمو الدستور الإسلامى يسير فى طريق
جديد غير الطريق الذى نما فيه أيام أبى بكر وعمر رضى
الله عنهما ، ذلك أن مسألة الرئاسة التوقراطية ، أو الخلافة
بمعنى آخر ، أصبحت تحل بالقوة . كما أصبحت الجماعة
الإسلامية لا تخضع ولا تسكن إلا بالسيف . ولم يلبث

(1) Welhausen, The Arab Kingdom & its
Fall, p. 25.

الجمهور أن رأى في يده حقاً يجدر به استعماله هو حق انتخاب الخليفة . ومن ثم لم يجد العامة في الدولة شخصية تليق لهذا المنصب الخطير إلا على بن أبي طالب فانتخبوه .

على أنه سرعان ما عصفت ريح الفتنة ثانية ضد على ابن أبي طالب نفسه ، فاندلعت بلاد العرب من أقصاها إلى أقصاها بنيران الحرب الأهلية وقوامها عائشة أم المؤمنين (١) ومعاوية وطلحة والزبير الذين تظاهروا بالمطالبة بثار عثمان ، مع أن منهم من كان مؤبلاً عليه .
فيالتصاريق القدر . . !
اتهى والله الحمد

كلمة صغيرة

تحدثت في ثانيا هذا البحث الذى انتهى منه القارىء الكريم عن شخصيات بارزة من الصحابة الكرام وكبار رجال الدولة الإسلامية . ولم أكن أعقب على أسمائهم في كثير من الأحيان بعبارة « رضى الله عنه » أو « كرم الله وجهه » ولم يكن ذلك ناتجاً عن قلة تقديرى لشخصياتهم وإنما كان يدعونى إلى ذلك أنى كنت أعتبر كلا منهم بطلاً من أبطال الإسلام والتاريخ مثل هؤلاء الأبطال ليسوا فى حاجة إلى عبارات التعظيم لأنهم أنفسهم عظماء من غير شك . ومع كل هذا فهأنذا أسجل لهم — رضى الله عنهم أجمعين — كل اجلالى ومزيد احترامى دفعاً لما قد يقال من غير الوجه حق .
المؤلف

(١) أخطأ المستشرق فلهوزن فذكر أن عائشة كانت أم النبي صلى الله عليه وسلم والحقيقة أنها زوجته كما هو معلوم (Welhausen, p. 25) .

المصادر العربية

- ١ - ابن الأثير (٦٣٠ هـ و ١٢٣٨ م)
على بن الأثير بن أبي الكرم .
الكامل فى التاريخ ١٢ جزء (بولاق
١٢٧٤ هـ)
- ٢ - ابن اسحق (١٥١ هـ)
فتوح مصر وأعمالها (مصر ١٢٧٥ هـ)
- ٣ - البلاذرى (٢٧٩ هـ و ٨٩٢ م)
فتوح البلدان (١٣١٩ هـ)
- ٤ - ابن حجر العسقلانى (٨٥٣ هـ و ١٤٤٩ م)
الاصابة فى تمييز الصحابة مصر ١٣٣٣ هـ
- ٥ - ابن أبى الحديد
شرح نهج البلاغة
- ٦ - الدكتور حسن ابراهيم حسن
١ - تاريخ عمرو بن العاص الطبعة
الثانية (القاهرة ١٩٢٥)
٢ - الفاطميون فى مصر (القاهرة
١٩٣٢ م)
٣ - السيادة العربية (القاهرة ١٩٣٤)
- ٧ - ابن خلدون (٨٠٨ هـ و ١٤٠٥ م)
العبر وديوان المبتدأ والخبر (بولاق
١٢٨٤ هـ)
- ٨ - ابن خلكان (٦٨١ هـ و ١٢٨١ م)
شمس الدين أبو العباس احمد بن ابراهيم
ابن أبى بكر الشافعى
وفيات الأعيان جزءان (القاهرة ١٣١٠ هـ)
- ٩ - الدينورى (٢٨٢ هـ و ٨٩٥)
الأخبار الطوال
- ١٠ - رفيق بك العظم
أشهر مشاهير الاسلام فى الحرب والسياسة
(مصر ١٣٢١ هـ)
- ١١ - المسعودى (٣٤٦ هـ و ٩٥٦ م)
أبو المحاسن على بن الحسين بن على .
مروج الذهب ومعادن الجوهر
جزءان (القاهرة ١٣٠٣ هـ)
- ١٢ - ابن طباطبا (توفى بعد ٧٠١ هـ)
الفخرى فى الآداب السلطانية والدول
الاسلامية (مصر ١٣١٧ هـ)

(تابع) المصادر العربية

- | | |
|---|---|
| <p>٢ - اتعاظ الخنفا بأخبار الخلفا
« القدس سنة ١٩٠٨ م »</p> <p>١٧ - وستنفلد
تاريخ مكة طبعة ليزج ١٨٦١ م</p> <p>١٨ - ياقوت الحموى ٦٢٦ هـ و ١٢٢٩ م
شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى
معجم البلدان ١٢ جزء « القاهرة ٢٣٢٢ م »</p> <p>١٩ - اليعقوبى « ٢٨٢ هـ و ٨٩٥ م »
تاريخ اليعقوبى « ليدن ٨٨٣ م »</p> | <p>١٣ - الطبرى د ٣١٠ هـ و ٩٢٢ م
أبو جعفر محمد بن جرير . تاريخ الأمم
والملوك ٧ أجزاء ليدن « ١٨٨١ م »
طبعة دى غويه</p> <p>١٤ - ابن عبد ربه « ٣٤٩ هـ و ٩٤٠ م »
العقد الفريد ثلاثة أجزاء</p> <p>١٥ - ابن قتيبة « ٢٧٠ هـ و ٨٨٩ م »
الامامة والسياسة</p> <p>١٦ - المقرئى « ٨٤٥ هـ و ١٤٤١ م »
تقى الدين أحمد ابن على :
١ - المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط
والآثار جزآن « بولاق ١٢٧٠ هـ »</p> |
|---|---|

المصادر الأفرنكية

- 1 - AMIR ALI, SAYED
A Short History of the Saracens
London 1891.
- 2 - LE BON, Gustave.
La Civilisation des Arabes.
Paris 1884.
- 3 - BROWNE, E.G.
A Literary History of Persia. Vol. I, London 1909.
- 4 - BUTLER, Alfred J.
(a) The Arab Conquest of Egypt.
Oxford 1902.
(b) Babylon of Egypt.
Oxford 1904.
- 5 - HELL, Joseph.
Kultur der Araber, Translated by Khuda Bukhsh. England 1925.
- 6 - IRVING, Washington.
A History of the Lives of the Successors of Mohamed.
London 1912
- 7 - VON KREMER,
Culturgeschichte des Orients,
(Translated by Khouda Bukhsh)
Calcutta 1920.
- 8 - LANE-POOLE, Stanley
A History of Egypt in the Middle Ages.
London 1901
- 9 - NICHOLSON, Reynold
A Literary History of the Arabs.
London 1923.
- 10- MUIR, Sir William.
The Caliphate: Its Rise, Decline & Fall.
Oxford 1902.
- 11- SEDILLOT, L. B.
Histoire Générale des Arabes,
Paris 1877.
- 12 - VAN VLOTEN,
La Domination Arabe le Chi'itisme
et les Croyances Messianiques sous
le Kalifat des Omayyades.
Amsterdam 1894.
- 13 - WELHAUSEN,
The Arab Kingdom & its Fall.
(Translated from German by Margaret Grahame Weir M. A.
Calcutta 1927.)

الرأي العام

في الطبعة الأولى

تحدثت عن كتاب مقتل عثمان بن عفان صحف الاهرام
والجهاد والمقطم والبلاغ وروز اليوسف والمقتطف وهدى
الاسلام والمصور، والرياضة للجوهري، وغيرها من صحف
مصر والشرق العربي.

كما تلقى مؤلف الكتاب خطابات عديدة من شخصيات
كبيرة تمتدح جهوده في إخراج هذا الكتاب :
ونحن نورد هنا بعض مقتبسات منها :

— ١ —

« وقد سجل المؤلف لنفسه رأيا شأن كبار المؤرخين
في المواقف الغامضة كما يدل على دقة التحيص وقوة الملاحظة
ومتانة الاستنتاج »

(الاهرام ١٠ ابريل سنة ١٩٣٥)

— ٢ —

واذاً ، فليقرأ هذا الكتاب قراء العربية في مصر والشام
والعراق وبلاد العرب وفي سائر العالم العربي ، فسيجدون فيه
قصصا تاريخياً رائعاً ، مع نزاهة قصد . وليلمن هؤلاء جميعاً إلى
أن المؤلف قد وفق في هذا الى حد بعيد .
المقتطف

... وصلنى بحثك القيم عن مقتل الخليفة عثمان . وقد قرأته فوجدته يدل على سعة اطلاع ودقة بحث واستعداد حسن للبحث التاريخى . فأهنئك وأرجو لك فى حياتك العلمية كل نجاح وكل توفيق .

عبد الحميد العبادى
أستاذ التاريخ بكلية الآداب

وبعد . . فقد وصلنى ببريد اليوم كتابك القيم فراقى مجهودك الفنى وأعجبت بجهدك الفنى . وتحققت فىك ما كنت أومله منك . فقد عهدت لك منذ عرفتك شعلة ذكاء . وجاءت رسالتك هذه دليل الأمل فىك والرجاء وما حيلتى بعد شكرى وإعجابى إلا أن أدعو لك فى طريق الخير بالمزيد ، وأن أسأل الله أن يبلغك ما تصبو إليه نفسك وتريد .

أسعد لطفى حسن

حاول صاحب الكتاب أن يوضح غامض هذه الحوادث فى أثناء بحثه ، فبسطها للقراء بسطاً جلياً ساعدهم على تفهمها ومعرفة نتائجها ومسبباتها ، ثم شفعها جميعاً ببعض آرائه فى هذه الحوادث . وقد دلت على توفيق فى البحث وإصابة فى الاستنتاج الصحيح وخاصة فى تمحيص آراء المستشرقين وتاريخهم عن العرب فى ذلك الوقت .

وفي النهاية ، سرد للقراء حادث قتل هذا الخليفة بتفصيل دقيق ، أجاد في تصوير أجزائه إجادة يستحق عليها الثناء . وبالجملـة قد سار في تدوين حوادث هذا الوقت العصيب كأنه يروى لك قصة تميل إليها قلبك ، وتستسيغها نفسك لجودة وضعها وترتيبها ، وإن شعرت بالأسف والتأثر لهذه النهاية الفظيعة التي انتهت إليها حياة عثمان بن عفان .

(البلاغ ١٥ ابريل - سنة ٩٣٥)

-- ٦ --

أهدى إلينا الأديب المعروف الأستاذ محمود الغزاوى خريج كلية الآداب بالجامعة المصرية مؤلفه النفيس عن مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو بحث فى القفنة التى حدثت أيام سيدنا عثمان بن عفان وانتهت بقتله . وقد تصفحناه فوجدناه سفرأ نفيساً يدل على دقة بحث الأستاذ الغزاوى وتضلعه فى التاريخ الإسلامى وعلو كعبه فى التحصيل والاستقصاء ونحن نشكر للأستاذ بحثه القيم ونتمنى عليه — كما تمنى عليه أستاذه الدكتور حسن ابراهيم — أن يواصل بحوثه على هذا النمط الجميل ، ولا غرو فهذا من أول واجبات الجامعة المصرية التى تقع على كاهل شبابنا الجامعى . .

(روز اليوسف اليومية)

فهرس الكتاب

صفحة

٣ تقديم الكتاب للعالم الجليل الدكتور حسن ابراهيم حسن
كلية المؤلف في الطبعة الثانية ٧

الباب الثاني

الفتنة في الأمصار

الفصل الأول

انتشار الفتنة صفحة

الفتنة في الكوفة ... ٧٤

» » البصرة ... ٨٣

» » الشام ... ٨٦

» » مصر ... ٩٦

الفصل الثاني

دور العمل

(١) تطور الفتنة ... ١٠١

خروج الثوار ... ١٠٢

ضبط خطاب سرى ... ١٠٦

(٢) القتل ... ١٠٨

موقف على من الفاجعة ... ١٠٨

موقف معاوية ... ١١١

(٣) الفاجعة ... ١١٢

قطع يد عثمان ... ١١٣

مروءة الزوجة ... ١١٤

ابنته ترثيه ... ١١٩

رثاء الزوجة الشكلي ... ١٢١

(٤) خاتمة القول في عثمان

ابن عفان ... ١٢٣

الباب الأول

(حالة المسلمين قبيل الفتنة)

الفصل الأول

عثمان بن عفان صفحة

مولده ... ٢٢

انتخابه ... ٢٤

جهود عبدالرحمن بن عوف ... ٢٩

أثر بيعة عثمان ... ٣٣

الفصل الثاني

عوامل الفتنة

(١) النزاع بين بني هاشم

وبني أمية ... ٣٦

سبب هذه العداوة في الجاهلية

» » » » «الاسلام ٣٨

(٢) سياسة عثمان ... ٤٤

قصة الهرمزان ... ٤٥

الفتوح عامل للثورة ... ٥١

عوامل الثورة

(١) جمع الناس على مصحف

واحد ... ٦١

(٢) توسيع الحرم ... ٦٣

(٣) تعديل في العبادة ... ٦٤

(٤) ايثار عثمان ذوى قرياه ... ٦٥

مروان بن الحكم وأساليه ... ٦٩

المشاهدة
دار مجلتي للطبع والنشر

تم طبع كتاب « مقتل عثمان بن عفان »
بمطبعة مجلتي « لصاحبها احمد الصاوى محمد »
بالقاهرة ٧ شارع فؤاد الاول تلفون ٥٥٤٥٥
فى يوم الثلاثاء ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٣٦

10107312

DS 238

•U86 G3 1936 C1

C1\$

7 MAIN ENTRY

10107312

INSERT



BOOK CARD

PLEASE DO NOT REMOVE.
A TWO DOLLAR FINE WILL
BE CHARGED FOR THE LOSS
OR MUTILATION OF THIS CARD.

12 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU69240418

DS238.U86 G3 1936 Maqālat Uthman ibn Af